ساحر النساء

- ١ -

جلس مستر سوتر في شرفة فيللا (عش الغراب) القائمة فوق صخرة عالية تشرف على ميناء (لوموث) ، وراح يراقب مضيفه سير شارلس كارترايت صاحب الفيللا وهو يرتقي الطريق المتعرج المؤدي اليها من ناحية البحر ..

وما لبث مستر سوتر أن سمع صوتاً فوق الشرفة عن كثب منه فأدار رأسه ، وشاهد سير بارثلوميو سترينج الطبيب الكبير الأخصائي في الأمراض العصبية يتقدم إلى ناحيته .

وجذب الطبيب مقعداً وجلس قرب سوتر وتحدث اليه قائلاً :

– فيم تفكر يا صاحبي ؟

فابتسم سوتر وقال مشيراً إلى مضيفهما وهو يتقدم جاداً في طريقه :

– ما كنت أظن أن سير شارلس سوف يرضى بالبقاء طويلاً في مثل هذا .. المنفى .

فضحك الطبيب وقال :

– ما أعجب هذه المصادفة !. إن هذا عين ما كنت أفكر فيه !. لقد أتيح لي أن أعرف سير شارلس واتصل به من عهد الدراسة ، حين كنا معاً في جامعة أكسفورد ، وهو قد اعتزل حياة المسرح منذ عامين وأعلن عن عزمه على الاخلاد إلى الحياة الريفية الهادئة ، بعيداً عن ضوضاء المدن ، واشباع غرامه القديم بالبحر ، ولذلك هبط إلى هـذه البقعة التي توفر له فيها ما ينشد ، وابتنى هذه (الفيللا) البديعة .

والحق يا سوتر انني كنت مثلك أول الأمر ، لا أعتقد أنه سيركن طويلاً إلى مثل هذه الحياة .

وما كاد الطبيب يتم حديثه حتى أقبل سير شارلز كارترايت متهلل الوجه وارتقى درجات الشرفة في خفة ونشاط ..

وهتف قائلاً :

– الواقع أن الزورق (ميرابلا) قد فاق ما كنت أتصور ، كان يجدر بك أن ترافقني يا سوتر .

لكن سوتر هز رأسه إعراباً عن عدم موافقته على رأي صديقه ، فهو لم يكن يصمد لدوار البحر ، وقد تطلع من نافذة مخدعه في صباح هذا اليوم ، ورأى تلاطم أمواج البحر ، وحمد الله على أنه لم يسهم بنصيب في نزهة صاحبه البحرية .

وسار سير شارلز إلى نافذة قاعة الاستقبال ، وأمر باحضار شيء من الشراب ، ثم عاد إلى صديقيه .. وقال يحدث الطبيب :

– كان يجدر بك أن ترافقني يا تولي .. أولست تقضي أغلب سني حياتك جالساً في عيادتك بشارع هارلي تمتدح لمرضاك هواء البحر ، وتصور لهم مقدار ما يحدثه في نفوسهم من التأثير والتبديل ؟

فقال سير بارثلوميو :

– إن أبلغ ميزة في حياة الطبيب ، هي أنه معفى من اتباع النصائح

التي يدلي بها لمرضاه .

فضحك سير شارلز وقال :

– هل كنت وحيداً في هذه النزهة البحرية ؟

– كلا .. فقد كان معي مساعد .. أو بالأحرى كانت معي الفتاة المسماة .. (ايج) .

– تعني الآنسة ليتون جور ؟ إنها ملمة ببعض الفنون البحرية .. اليس كذلك ؟

– الحق اني أشعر معها بجهلي الشديد في هذه الأمور ، ومع ذلك فإنني بفضلها في تقدم مستمر .

وشعر سوثو بطائفة من الخواطر تمر في ذهنه بسرعة ..

وقال لنفسه :

– ما أعجب هذا ! إيج ليتون جور ! ربما كانت هى السر في أنه لم يمل هذه الحياة .

واستطرد سير شارلز قائلاً :

– ليس في الدنيا بأمرها شيء يماثل البحر ، حيث الأمواج والشمس والهواء ..

وفي هذه اللحظة أقبلت من داخل فالمنزل امرأة طويلة القامة دميمة الوجه ، فابتدرها سير شارلز قائلاً :

– طاب صباحك يا مس ميلراي .

– طاب صباحك يا سير شارلز ، هذه هي قائمة طعام العشاء .. فهل تحب أن تجري فيها بعض التعديل ؟

فتناول سير شارلز القائمة وراح يجيل بصره في محتوياتها ويغمغم بأسماء الألوان التى ستقدم .

ثم قال أخيراً :

– لا داعي للتعديل .. فهي شاملة كل شيء ، وسوف يأتي الجميع في قطار الساعة الرابعة والنصف .

– لقد أصدرت الأوامر اللازمة للسائق هوجليت ، وبهذه المناسبة يا سير شارلز ، أرجو أن تأذن لي بالعشاء معكم هذه الليلة .

وما أن سمع سير شارلز هذا الطلب الغريب حتى أجفل ، على أنه قال في لهجة المجامل :

– هذا من بواعث سروري يا مس ميلراي .. ولكن !

فراحت مس ميلراي توضح غرضها في هدوء قائلة :

– إذا لم تأخذ بهذا الرأي يا سير شارلز ، فسوف يجتمع حول المائدة ثلاثة عشر مدعواً . وكم في الناس من يتشاءم من هذا الرقم .

وكفت قليلاً عن الكلام .

ثم استطردت قائلة :

– أحسب أنه قد تم إعداد كل شيء . وقد أخبرت هوجليت أن يذهب بالسيارة لاحضار الليدي ماري وبابنجتون وزوجته .. فهل تقر هذه التعليمات ؟

– تماماً .. وهذا هو عين ما كنت أهم بأن أوصيك به .

فانسحبت مس ميلراي وقد لاحت على سحنتها المغضنة ابتسامة تشف عن الاعتداد بالنفس !

بينما قال سير شارلز على أثر خروجها :

– هذه امرأة عجيبة .. وقد مضى عليها في خدمتي ستة أعوام . كانت تعمل لدي في لندن سكرتيرة لي ، وهي الآن تقوم بدور رئيسة الخدم ببراعة وحنكة .. لكنها تعتزم اعتزال الخدمة .

– وما السبب ؟.

– لقد زعمت أن لها أماً مريضة لكني لا أعتقد في صدق هذا

الزعم . إذ لا يمكن أن يكون لمثل هذا الطراز من النساء أمهات على الاطلاق ..

فقال سير بارثلوميو :

– ربما صح ارتيابك في صحة زعمها .. فقد بدأ الناس يلغطون

فقال الممثل القديم وهو يحدق متسائلاً :

– يلغطون ؟. وبم يلغطون ؟

– يا عزيزي شارلز .. ما أخالك تجهل مؤدى هذا اللفظ ؟

– تعني أنهم يلغطون عنها . وعني ؟ وهي تتمتع بمثل هذه السحنة ، وقد شارفت هذه السن ؟

– إنها لم تتجاوز الخمسين .

فقال سير شارلز بعد تفكير قصير :

– أحسب أنها كما تقول .. لكن بربك يا تولي ، هل أنعمت النظر في وجهها ؟ نعم إن بهذا الوجه عينين وأنفاً وفماً .. لكن من العسير أن ينعت بأنه وجه حقاً .. ووجه نسائي على الأخص .

– إنك تحمل عليها بشدة !

– في هذه الناحية فقط .. أما فيما عدا ذلك ، فهى امرأة وقور ، كاملة الصفات ، وهى كبيرة النفع لي ..

وأخلد سير شارلز إلى الصمت قليلاً ، فغير سير بارثلوميو مجرى الحديث قائلاً :

– من هم المدعوون هذا المساء ؟

فأجاب شارلز :

– أنجيلا ستكليف الممثلة الذائعة الصيت ، ولويدي ديكرس صاحب جياد السباق قديماً ، وزوجته مديرة محل أزياء أمبروزين المعروف ، وأنطونيا استور المؤلفة المسرحية التي حازت شهرة كبيرة بروايتها الأخيرة

واحسب ان اسمها الحقيقي ولز

وهناك من أهل البلدة القس بابنجتون وزوجته ، ثم الليدي ماري وابنتها (إيج) .. آه . اني نسيت الشاب المدعو ماندر ، وهو صحفي على ما اذكر .

فقال سوتر :

– لكن عددهم جميعا ، وفي جملتهم نحن الثلاثة ، اثنا عشر فقط .. لا بد أن تكون انت او مس ميلراي قد اخطأتما الحساب .

فقال سير شارلز في لهجة اليقين :

– إن مس ميلراي لا تخطىء ابداً ، دعني أراجع ذاكرتي ، ويحك ! إنك على صواب ! لقد نسيت ذلك البلجيكي هيركيول بوارو .

فقال سوتر :

– البوليس السري ؟ اني قابلته . وهو شخصية عجيبة حقاً ..

فقال الدكتور بارثلوميو :

– إنى لم اقابله في حياتي . لكننى سمعت عنه كثيراً ، فهو قد اعتزل الخدمة منذ عهد قريب . واكبر الظن ان ما سمعته عنه يدخل في باب القصص الخرافية . ومهما يكن من امر يا شارلز ، فكل ما ارجوه ألا تقع جريمة في هذا الاجتماع ..

– وما الذي يحملك على هذا التوجس ! أذلك لأن بين المدعوين رجلا من رجال البوليس السري ؟

– هذه نظرية أعتنقها انفسي .

فقال سوتر :

– وما هو مضمون نظريتك يا دكتور ؟

– نظريتي أن الحوادث تجري في أعقاب الناس ، ولا يجري الناس في أعقاب الحوادث . ما السر في ان بعض الناس يحيون حياة حافلة ،

وآخرون يحيون حياة جامدة ! هل يرجع هـذا التفاوت إلى اثر البيئة التي يعيشون فيها ؟ كلا .. فقد يطوف رجل ما بأطراف العالم دون ان يصيبه اقل حادث ، بينما قد يسير رجل آخر في أرجاء قريته فتنهـال الكوارث في اثره .. وإن رجالاً من طراز ضيفـك بوارو لا ينطلقون في البحث عن الجرائم ، وإنما تأتي الجرائم اليهم ..

فقال سوتر :

- إذا صح ما تقول فقد أحسنت مس ميلراي باقتراحهـا مشاركتنا فى الجلوس إلى المائدة ، فإننا بهذا لن نكون ثلاثة عشر ..

فقال سير شارلز مازحاً :

- إذا كنت تصر على نظريتك يا تولي ، فلتقع الجريمة التي تتوجس منها ، لكنني اؤكد لك شيئاً واحداً ، هو انني لن اكون المجنى عليه !

- ٢ -

جلس سوتر في القاعة الفسيحة المطلة على الشرفة ، وهي بأثاثها تشبه (صالة) فخمة في إحدى السفن ، وجعل يتأمل مدام ديكرس وقد صبغت شعرها وعقصته بعناية فائقة ..

بينما راح سير شارلز يعد (الكوكتيل) ويتحدث إلى انجيلا ستكليف الممثلة الذائعة الصيت ..

وهى امرأة طويلة القامة ، يبدو في عينيها بريق خبث ، وقد دب المشيب إلى شعرها .

ووقف الكابتن ديكرس يحادث الدكتور بارثلوميو سترينج في شؤون الجياد والسباق .

وجلست الآنسة ولز ، او انطونيا استور المؤلفة المسرحية ، إلى جانب سوتر تحدثه عما شاهدته في رحلتها إلى جنوب فرنسا ..

فلما فرغت من قصتها ، كان سير شارلز يصب (الكوكتيل) في الكؤوس !

فقال لها سوتر :

– ما رأيك في كأس من (الكوكتيل) ؟

فقالت الآنسة ولز .

– كما تشاء !

ونهض سوتر لاحضار الكأس ..

وفي هذه اللحظة ، فتح الباب ، واعلنت الخادمة قبل قدوم الليدي ماري ليتون جور وابنتها ، والقس باجتون وزوجته .

وناول سوتر كأس الشراب إلى الآنسة ولز ..

ثم جلس قرب الليدي ماري ليتون جور ، وهي متقدمة في السن تقيم مع ابنتها في منزل صغير بالبلدة .

اما ابنتها هرميون الملقبة باسم (آيج) فهي فتاة على حظ موفور من الجاذبية والحيوية ، ذات شعر فاحم السواد ، وعينين عسليتين وثغر يفتر عن ابتسامة تشف عن المرح والنشاط .

ووقفت هذه الفتاة تحادث أوليفر ماندرز الصحفي عقب وصوله ، واطرد الحديث بينهما إلى شؤون البحر ، وسباق الزوارق .

بينما راح رجل ضئيل الجسم مفتول الشاربين يراقبها عن كثب ، هو هير كيول بوارو البوليس السري البلجيكي !

وما لبث القس ستيفن باجتون راعي كنيسة لوموث أن انضم إلى الليدي ماري ومستر سوتر ..

وكان هذا القس في الستين من عمره ، تلوح عليه إمارات الطيبة ودماثة الخلق ..

وقال موجهاً حديثه إلى سوتر :

– الحق إننا سعداء باقامة سير شارلز بين ظهرانينا ، وقد برهن طوال أيامه على حسن الطوية والكرم ، ثم هو إلى جانب هذا جار لطيف المعشر وأعتقد أن الليدي ماري تتفق معي في هذا الشأن .

فابتسمت وقالت :

– اني شديدة التعلق به ، فإن المجد الذي أصابه في حياته المسرحية لم يؤثر في كرم أخلاقه ..

وفي هذه اللحظة جاءت الخادمة وهي تحمل بين يديهـا صحفة صفت عليها أقداح (الكوكتيل) ، فأسرعت هرميون الى أمها وهي تقبض على كأسها وقالت تحدثها :

- اوصيك يا أماه بأن تتناولي كأساً من هذا الشراب ، كأساً واحدة !

فقالت أمها بوداعة :

- شكراً لك يا عزيزتي .

فتطلع سوتر إلى ناحية مدام بانجتون ، فرآها منهمكة في التحدث الى السير كاروايت في شؤون فلاحة البساتين التي تغرم بها الى حد كبير .

وقال القس وهو يضحك ضحكة رقيقة :

- أعتقد ان زوجتي تأذن لي في تناول كأس كذلك .

وانحنت الليدي ماري الى اذن سوتر وسألته قائلة :

- من هي تلك المرأة الشابة التي كانت تتحدث اليك حينما دخلنا ؟

- انها انطونيا استور ، المؤلفة المسرحية .

- كيف ذلك ؟ الحق ان هذه مفـــاجأة ، فإن مظهرها اقرب الى الممرضات منها الى الكاتبات .

فضحك سوتر من هذا الوصف الذي طابق الواقع ..

اما القس بانجتون فقد راح يقلب بصره الضعيف في جوانب الغرفة ، وما لبث ان ارتشف قليلا من كأس (الكوكتيل) ، ثم شعر بأنه يكاد يغص به !

فأدرك سوتر أنه لم يألف هذا اللون من الشراب .

وجمع بانجتون أطراف شجاعته ، وتناول جرعة أخرى من الشراب وقد تقلصت عضلات وجهه قليلا وقال :

- ها هي زوجتي آتية .. الواقع يا عزيزتي ..

وارتفعت يده الى حلقه دون أن يتم عبارته

وأجفل سوتر حين شاهد مستر بالجتون ينهض من مقعده مترنحاً ، وقد انقلبت سحنته وتغضن وجهه ..

وما كادت الليدي ماري ترى هذا التبدل الذي طرأ على حالة القس حتى استوت قائمة وبسطت اليه يدها في قلق واشفاق ، بينما هتفت هرميون وهي في مكانها الى جانب الصحفي :

– انظر .. ان مستر بالجتون قد أصيب بمرض فجائي .

وما ان سمع سير بارثلوميو ستريبنج هذه العبارة حتى هرع الى ناحية القس فأعانه على الوقوف وحمله الى اريكة في احد جوانب الغرفة .. وأسرع الباقون فالتفوا بالمريض ، وقد ساورهم قلق شديد عليه ، وودوا لو يستطيعون أن يقدموا اليه يد المساعدة .

وما لبث ستريبنج ان رفع قامته وهز رأسه ، وفاجأ الحاضرين بهذه العبارة :

– يؤسفني ان اقرر لكم انه قضى نحبه .

- ٣ -

انقضت ساعة ونصف على هذا الحادث ، وساد السكون بعد الهرج والاضطراب .

وكانت الليدي ماري قد راحت تواسي مدام بانجتون في محنتها ، ثم صحبتها آخر الأمر الى بيتها .

اما مس ميلراي فقد اسرعت الى التليفون واستدعت الطبيب المحلي ، فجاء على الفور وقام بواجبه في مثل هذه المناسبات .

وقدم للمدعوين عشاء تافه يسير ، ثم انسحبوا جميعاً الى الغرف التي اعدت لهم ..

وما كاد سوتر يهم بالذهاب الى غرفته حتى أطل عليه سير شارلز من داخل القاعة الفسيحة التي وقع بها الحادث ..

وقال له :

– تعال هنا يا سوتر ، فإني اريد ان اتحدث اليك .

فذهب اليه سوتر وقد سرت في جسده رعدة حين فكر في هذا الحادث المحزن الذي نغص على القوم ليلتهم .

كان في الغرفة ، الى جانب السير شارلز الطبيب بارثلوميو ستريننج .

وما كاد الطبيب يرى سوتر ، حتى اومأ برأسه ممتدحاً ما فعله سير شارلز وحدثه قائلا :

– احسنت يا صديقي ، فإن سوتر رجل خبر الحياة وفي وسعنا ان نعتمد على خبرته .

وجلس سوتر في مقعد بجانب الطبيب ، وقد ساورته دهشة يسيرة ، وكان سير شارلز يذرع الغرفة جيئة وذهاباً وقد لاحت عليه امـــارات التفكير العميق .

وقال سير بارثلوميو :

– ان شارلز لم يسترح الى ما حدث ، اعني الى وفاة بابنجتون المنكود .

عجب سوتر من هذه العبارة ، وخيل اليه انها تتضمن مغزى خاصاً ، على انه قال في تحفظ واحتراس :

– نعم انه حادث محزن .

ولم يلبث سير شارلز ان كف عن سيره في ارجاء الغرفة ، وقال يحدث الطبيب :

– هل شهدت من قبل أحداً يموت على هذا النحو يا تولي ؟

فأجاب الطبيب متأملا :

– كلا .. لا يسعني ان اقرر اني شهدت مثل هذه الحالة !

وصمت قليلا ..

ثم استطرد قائلا :

– لكنني مع ذلك اذكر لك اني لم اشهد كثيراً من حالات الوفـاة ، فإن الطبيب الأخصائي في الأمراض العصبية لا يستعجل نهاية مرضاه ، وانما يبقي عليهم جهده ويثري من ورائهم ، على اني لا ارتاب في أن ماكدوجال الطبيب المحلي قد عاين غير واحدة من هذه الحالات .

– ان ماكدوجال لم يتح له ان يشهد وفاة القس ، فقد لفظ انفاسه الأخيرة قبل قدومه ، ولم يكن امامه غير المعلومـــات التي افضينا

بها اليه ، وهو قد قرر أن الوفاة قد نجمت عن نوبة فجائية ، وأن بابجتون رجل مسن ، ولم يكن يتمتع بصحة طيبة .. على أن هذا لا يكفيني ..

فتدخل سوتر قائلاً :

– ما الذي ترمي اليه على وجه التحديد يا سير شارلز ؟ قل لنا ماذا يريبك ؟ أترتاب في وقوع جريمة قتل ؟ من ذا الذي تحدثه نفسه باغتيال قس كهل وديع ؟ هذا محض خيال ! أو هل هناك حادث انتحار ؟ مهما يكن من أمر ، ففي هذه الحالة يتسع مجال الكلام والتأويل .. ولا يبعد أن يفكر المرء في بعض البواعث التي قد تحمل بابجتون للقضاء على نفسه بيده .

– وما هي هذه البواعث ؟

فهز سير بارثلوميو رأسه في رفق وأجاب :

– كيف يتاح لنا أن ننفذ إلى خفايا العقل البشري ؟. على أن ثمة خاطراً يجول في ذهني .. ففي وسعنا أن نفترض أن بابجتون قد وقع فريسة لداء عضال ، أيقن انه يستحيل البرء منه .. ومثل هذا السبب قد يبعث على الانتحار ..

فقد يخطر له ، في مثل هذا الظرف ، أن يوفر على زوجته عناء احتضاره الطويل الأمد .. على أن هذا الرأي لا يعدو أن يكون استنتاجاً محضاً .. فليس ثمة ما يحملنا على الاعتقاد أن بابجتون قد أراد حقاً أن يضع حداً لوجوده في هذه الدنيا .

فقال سير شارلز :

– اني لم أفكر في احتمال الانتحار !

فقال برثلوميو وهو يبتسم ثانية :

– أجل . ما أراك إلا تبحث عن الظواهر غير العادية ، ولعلك ترمي

إلى القول بأنه قد دس له في (الكوكتيل) نوع جديد من السموم يتعذر الاهتداء إلى آثاره !

فقال سير شارلز :

– ليس هذا هو ما أرمي اليه .. وعليك ان تتذكر انني قد قمت بإعداد (الكوكتيل) بنفسي .

فقال الطبيب بلهجة جادة :

– إذن أخبرني ، هل تعتقد حقاً ان هناك انساناً يمكن ان يقدم على اغتيال هذا القس الوديع ؟

فأجاب سير شارلز :

– لا أظن .. نعم ، هذه فكرة مضحكة كما تقول .. إنني آسف يا تولي .. لكن هاتفاً خفياً يحدثني بأن في الأمر شيئاً غير عادي .

هنا تدخل سوتر قائلاً :

– هل يسوغ لي أن ادلي برأي في هذا الموضوع ؟. إن بابنجتون قد أصيب بهذه النوبة التي قضت عليه بعد دقائق من دخوله هذه الغرفة ، وعقب احتساء (الكوكتيل) ..

وأقرر لكما اني شاهدت وجهه يتقلص وهو يرتشف الشراب ، وقد عللت هذه الظاهرة بغرابة طعم (الكوكتيل) لدى مثله ..

لكن ، إذا سلمنا جدلاً بصحة نظرية سير برثلوميو ، وإن بابنجتون قد عول على الانتحار لسبب ما ، وانه قد توصل إلى ذلك بأن دس في غفلة منا مادة قاتلة في كأسه .

إذا سلمنا جدلاً بصحة هذا الرأي ، فإني أقترح ان يقوم السير برثلوميو بتحليل الكأس التي تناول منها القس شرابه ، وهي لا تزال في مكانها ، لم تمتد اليها يد ، وقد شهدته بنفسي وهو يتجرعها ..

نعم .. في وسعنا أن نقوم بهذا البحث دون أن نثير حولنا

أي لغط !.

فنهض برثلوميو وتناول الكأس ..

وقال :

– كما تشاء .. سأتمشى مع هواجسك يا عزيزي إلى النهاية ، على اني أراهنك بعشرة جنيهات مقابل جنيه واحد ، على انني لن اعثر فيها على غير الشراب المجرد !

فقال سير شارلز :

– قبلت الرهان .. ثم عليك أن تتذكر يا تولي (تدليل برثلوميو) ، انك مسؤول إلى حد ما عن هذه الوساوس التي خامرتني .

– أنا ؟

– أجل .. بحديثك اليوم عن الجرائم ، فقد قررت أن هذا الرجل المدعو بوارو يثير الجرائم في أثره ، أينما ولى وجهه .. وها أنت ترى ، أنه لم يكد يصل إلى هنا ، حتى حدثت وفاة فجائية تبعث ظروفها على الارتياب ، فلا غرو إذا اتجهت أفكاري فوراً إلى احتمال وقوع جريمة ..

فقال سوتر :

– ما أعجب هذا !

واستطرد سير شارلز كارترايت قائلاً :

– نعم .. لقد جال هذا بخاطري ، ما قولك يا تولي ؟ أيمكننا أن نستطلع رأيه في هذا الصدد ؟

وفي هذه اللحظة سمع نقر خفيف على الباب ، وأطل بوارو برأسه إلى الداخل في شيء من التردد .

فهتف كارترايت وهو يقفز من مكانه :

– ادخل يا عزيزي ، فقد كنا نتحدث عنك الآن !

– إني خشيت أن أكون متطفلا ..

– أبداً هل لك في شيء من الشراب ؟

– كلا .. شكراً لك .

* *

وما كاد الزائر يستقر في أحد المقاعد ، حتى عمد سير كارترايت إلى موضوع الحديث بغير تمهيد قائلا :

– إني لن ألجأ إلى التلميح يا مسيو بوارو ، فقد كنا نتحدث الآن عنك وعما وقع هذه الليلة ، اصغ اليّ يا صاحبي ، هل تظن أن هناك شيئاً غير طبيعي ؟

فقال بوارو ، وقد رفع حاجبيه متسائلا :

– شيء غير طبيعي ؟ ما الذي ترمي اليه ؟.

فقال برثلوميو ستريننج :

– ان صديقي يتوهم أن بابجتون قد مات قتلا !

فسأله بوارو :

– وأنت لا تشاركه هذا الرأي .. اليس هذا ما ترمي اليه ؟

فرد ستريننج :

– إننا نحب أن نستطلع رأيك .

فقال بوارو متأملا :

– نعم .. انه أصيب بنوبة مرضية بغتة ، وبغير مقدمات .

– هو ما تقول !

فتولى سوتر بسط نظرية الانتحار ، وما اقترحه من تحليل رواسب

الكأس التي تناول منها القس شرابه .

فأومأ بوارو برأسه موافقاً ..

ثم قال :

– مهما يكن من أمر ، فليس في هذا ضير على الاطلاق .. على اني أقرر كرجل اتيح له أن يدرس الطباع البشرية ، انه يمكن أن يتهيأ من الدوافع ، ما يحمل على اغتيال ذلك الكهل الوديع الدمث الأخلاق .. وكذلك لا أستريح إلى التعليل الذي يقول بأنه قد عمد إلى الانتحار .. وعلى كل ، فإن نتيجة التحليل سوف تكون حاسمة في هذا الشأن ..

- ٤ -

فاجأت ايج ليتون جور مستر سوتر على رصيف الميناء المعد للصيد ، ولم يجد مفراً من الوقوف معها ومبادلتها الحديث ..

فسألته قائلة .

- ما رأيك في وفاة القس بانجتون يا مستر سوتر ؟

فأجابها قائلا :

- هل نفث سير كارترايت بعض شكوكه في ذهنك ؟

- كلا .. فقد كونت لنفسي رأياً منذ وقوع الحادث ، فقد باغتنا بشكل يبعث على أشد الارتياع .

- الحق أنه كان كهلا ، معتل الصحة !

فقاطعته الفتاة قائلة :

- هو ما تقول . لكن هذا لا يقضي على الانسان ، في طرفة عين .. خاصة وانه لم يصب في حياته بنوبات على الاطلاق ، ما رأيك في شهادة الدكتور ماكدوجال ؟ انـه احتمى وراء التعبيرات الطبية الاصطلاحية ، ولم يذكر ان الوفاة كانت نتيجة أسباب طبيعية .

فقال سوتر .

- عليك أن تتذكري أنه لم يتبين من تحليل بقايا الكأس انها تحتوي شيئاً غير طبيعي .

– إذن . فهذه النتيجة فاصلة في هذا الشأن .. ومهما يكن من أمر فقد وقع شيء عقب التحليل جعلني أتساءل .

– أهو شيء حدثك به سير كارترايت ؟

– انه لم يتحدث الي .. وانما الى اوليفر .. اوليفر ماندرز .. وقد كان مدعواً للعشاء في تلك الليلة .. لكن لعلك لا تتذكر هذا الشاب ..

– بل أتذكره جيداً . أهو صديق حميم لك ؟

– كان كذلك فيما مضى . اما الآن ، فإننا نتشاحن ونختلف في أغلب مقابلاتنا .. لقد التحق بمصنع عمه في لندن ، وكان يتكلم كثيراً عن هجره واحتراف الصحافة ، فهو يجيد التدبيج والتحرير ، لكني اعتقد الآن أنه لم يكن يعني ما يقول ، انه يريد ان يثري بسرعة ، وقد صرت أرى الناس جميعاً يتهافتون على جمع المال ايما تهافت .. وهذا ما يثير تقززي منهم .. ومن اجل ذلك أحببت مستر بابنجتون لقناعته وزهده في هذه الدنيا .. ولعمري انه كان وزوجته مثال الأسرة الهانئة الوادعة ، ثم هناك روبين ..

– روبين ؟

– ابنهما .. وقد سافر الى الهند حيث لقي حتفه قتلا .. وقد أسفت عليه كثيراً ..

وأدارت عينيها الى ناحية البحر ..

ثم استأنفت حديثها قائلة :

– في وسعك أن تقدر اذن شعوري ازاء هذا الحادث .. لنفرض ان الوفاة لم تكن طبيعية .. واننا كنا على صواب !

– من تعنين بقولك (اننا) ؟

فأجابت الفتاة وقد تورد وجهها قليلا :

– سير كارترايت وأنا !

لم يجب سوتر ، وإنما راح يفكر في الصلة التي تجمع بين سير كارترايت وهذه الفتاة .

وقال لنفسه :

– إن كثيرات من الفتيات يتعلقن بالرجال المتوسطي الأعمار ، ذوي الماضي الحافل ، ولا يبعد أن تكون (إيج) إحدى هاته الفتيات .

وسألته الفتاة فجأة :

– ما السر في أنه لم يتزوج أبداً ؟

كان بوده أن يجيبها أن السر في هذا يرجع إلى حذر السير كارترايت من النساء .

لكنه أيقن أن مثل هذا الجواب لا يقنعها ، فقد كانت لصديقه علاقات معروفة مع الممثلات وغيرهن . .

وقالت الفتاة :

– أو لم يؤثر عنه يوماً أنه كان مولعاً بتلك الممثلة التي لا أذكر إلا أن اسمها كان يبدأ بحرف الميم ، والتي ماتت بالسل ؟

وتذكر سوتر ان إسم سير كارترايت قد اقترن حقاً باسم هذه الممثلة ، بيد أنه لم يكن يعتقد قط أن التزام صديقه حياة العزوبية راجع إلى وفائه لذكرى تلك الممثلة .

وأعرب للفتاة عن هذا الرأي .

وقالت (إيج) .

– أحسب ان سير كارترايت كانت له علاقات غرامية متعددة . .

– ربما .

– انني احب أن تكون للرجل مثل هذه العلاقات فهي الدليل على أنهم من البشر ، وأنهم غير خارجين على نواميس الطبيعة .

شعر سوتر بالحرج من صراحة الفتاة ..
ولم يجد إلا ان يلزم الصمت !

وسألته الفتاة :
- وماذا كان رأي مسيو بوارو في هذا الحادث .. لا بد أن له رأياً !
فقال سوتر :
- إن مسيو بوارو أشار علينا بانتظار نتيجة التحليل ، لكنه صرح بأنه يعتقد انه ليس ثمة امر غير طبيعي ..

فقالت إيج :
- إنه يتقدم في السن ، وقد بدأ يتلاشى من ميدان الحياة العملية .
فأجفل سوتر من صراحتها ..
بينما استطردت قائلة :
- انني أدعوك لتناول الشاي في منزلنا ، فإن أمي تحبك ، وقد صرحت بذلك .

فقبل سوتر هذه الدعوة ..
وما كادا يصلان إلى منزل الفتاة حتى تطوعت بابلاغ سير كارترايت تليفونياً أن ضيفه مدعو لديها .
وجلس سوتر مع الليدي مارى في قاعة الاستقبال وراح يتبادل معها شتى الأحاديث .

واجاب رداً على سؤال لها :
ان صداقته لسير شارلس ترجع إلى عدة أعوام ..
فقالت الليدى مارى باسمة :
- هو شخصية جذابة ساحرة ، وايج تشاركني هذا الشعور .
والحق ان قدوم سير كارترايت إلى هنا افاد ابنتي كثيراً ، فقد أفسح

أفق حياتها .. ولا ريب انك تعلم أن الشباب هنــا قليل ، ولاسيما الرجال .. وطالما خشيت ان تتزوج ابنتي شخصاً ما لمجرد كونه أول من صادفها !

فطن سوتر على الفور إلى ما ترمي اليه !
فسألها قائلا :
– اتعنين الشاب اوليفر ماندرز ؟
فتورد وجهها دهشة وقالت :
– عجبــاً يا مستر سوتر ! الواقع انني أقصد هذا الشاب .. وهو قد اتصل بابنتي كثيراً ، لكني اصارحك انني لا أميل إلى بعض آرائــه !
فقال سوتر :
– مهما يكن من شيء يا سيدتي ، فما اظنك تحبين ان تتزوج فتاتك رجلا له ضعف سنها .

فردت الليدي :
– بل هذا أسلم عاقبة ، إن طيش الانسان واخطاءه في مثل هذه السن تدفن وراءه وتغيب في اطواء الماضي ، بعكس الشاب الذي يستهدف لها في كل لحظة

وفي هذه اللحظة اقبلت (ايج) .
فقالت أمها تحدثها :
– أين كنت يا عزيزتي ؟
فأجابت إيج :
– كنت أتحدث إلى سير كارترايت بالتليفون ، وهو الآن بمفرده .
ونظرت إلى سوتر مؤنبة ..
وقالت له :

– إنك لم تخبرني بانصراف جميع مدعويه !

فقال سوتر :

– انهم سافروا أمس فقط ، فيما عـــدا سير برثلوميو ستريـنج .. وقد كان في نيته البقاء حتى الغد .. بيـــد أنه استدعي باشارة تلغرافية إلى لندن في صباح هذا اليوم ، فقد اخطر بأن احد مرضاه في حالة دقيقة .

فقالت إيج :

– واسفاه .. فقد كان في نيتي أن ادرس شخصيات أولئك المدعوين جميعاً .. إذ ربما كان يتاح لي ان اهتدي الى اثر ما .

فسألتها امها :

– اثر ؟ بم يتصل هذا الأثر يا عزيزتي ؟

فقالت إيج :

– إن مستر سوتر يعرف ما ارمي اليه ، وعلى كل حال فإن هذا ليس بذي بال .. ان اوليفر ما يزال باقياً هنا .

* * *

انصرف سوتر عائداً إلى (عش الغراب) ، فألفى مضيفه جالساً في الشرفة المطلة على البحر .

وما لبث كارترايت ان حياه قائلاً :

– اهلاً بك يا عزيزي .. هل كنت تتناول الشاي مع الليدي ليتون جور وابنتها ؟

– نعم .. ما أظن هذا يسوؤك ؟

- كلا بالطبع .. ان (ابج) حدثتني تليفونياً ، والحق ان هذه الفتاة غريبة الأطوار !

رد سوتر :

- انها فتاة جذابة !

- نعم .. احسب انها كذلك ..

ونهض واقفاً وتمشى بضع خطوات ، على انه ما لبث أن قال فجأة في مرارة :

- كم أتمنى لو انني لم احضر قط الى هذه البقعة اللعينة !

- ٥ -

ما كاد سوتر يسمع هذه العبارة حتى شعر برثاء لحالة صديقه .

فقد ايقن ان شارلز كارترايت ، محطم القلوب وساحر النساء ، قد وقع في شرك الحب وهو في الثانية والخمسين من عمره .

ولا ريب انه يدرك ، وهذا شأنه ، أن غرامه مقضي عليه بالفشل التام ، فإن الشباب يألف بعضه بعضاً ، ولا يمكن ان يقع اختيار الفتاة الا على الشاب اوليفر ماندرز .

ورسخت هذه العقيدة في ذهن سوتر حينما تكلمت (ايج) بالتليفون بعد العشاء ، واستأذنت في اصطحاب اوليفر الى (الفيللا) لتتحدث في بعض الشؤون .

وقـــال هذا الشاب ، اوليفر يخاطب سير كارترايت حين استقر بهما المقام :

— ألا يمكنك ، يا سيدي ، ان تنزع من ذهنها هذه الأوهام التي تتعلق بها ؟

انها تتصور ان ذلك الكهل قد توفي وفاة غير طبيعية .

وتطلع سوتر الى سير كارترايت ، فآنس تبدلاً ملحوظاً في اطواره ، فقد استسلم للواقع ، ولم يحاول قط ان ينافس اوليفر ماندرز في مركزه لدى الفتاة ..

وانما اضطجع في مقعده مسنداً رأسه الى الخلف بعيداً عن الضوء ، وجعل يراقب الشابين وهما يتجادلان .

كان يبدو على كارترايت في هذه الليلة ، انه تقدم في السن كثيراً ، ولاحت عليه امارات التعب والاعياء .

وراحت (ايج) تحتكم اليه كلما احتدم الجدل بينهما وبين صاحبها ، بيد انه لم يتكلم الا لماماً .

ونهض الشابان لمغادرة (الفيللا) عند الساعة الحادية عشرة ..

ورافقهما سير كارترايت حتى الشرفة ، وعرض عليهما مصباحاً كهربائياً ينير لهما السبيل في الطريق الصخري ، بيد أنهما أعلنا أنهما في غير حاجة اليه . فقد كانت الليلة مقمرة .. وما لبثا أن ابتعدا وأخذت أصواتهما تخفت شيئاً فشيئاً .

ولم يشأ سوتر ان يستهدف لبرد الليل ، ولذا دلف إلى داخل القاعة الفسيحة ، بينما بقي سير كارترايت واقفاً في الشرفة بعض الوقت .

ولم يلبث ان لحق بضيفه بعد أن أغلق النافذة خلفه ، ثم دنا من مائدة قريبة ، وتناول قدحاً من الشراب

وقال فجأة :

– إني سأغادر هذا المكان نهائياً في الغد يا سوتر .

فهتف سوتر مندهلاً

– ماذا تقول ؟

– هذا هو السبيل الوحيد ، سوف أبيع هذه (الفيللا) .

وكف عن الكلام هنيهة ..

ثم استطرد في غير مبالاة :

– خير للمرء ، ما دام يخسر باستمرار أن ينقذ ما يمكن انقاذه ويكف عن اللعب ، الشباب يجذب بعضه بعضاً ، لقد خلق هذان الشابان أحدهما

الآخر . سأخلي لهما الطريق .

– وإلى أين تذهب ؟

– إلى أي مكان ، وربما اخترت مونت كارلو .

وحيا سوتر بانحناء رأسه ثم غادر الغرفة .

ونهض سوتر من مكانه وتأهب للذهاب إلى فراشه

* * *

وفي صباح اليوم التالي اعتذر سير كارترايت إلى صديقه سوتر لاضطراره الذهاب إلى لندن في هذا اليوم ..

وأردف قائلاً :

– لا تختتم زيارتك يا صديقي العزيز .. لقد قررت من قبل أنك ستبقى حتى الغد ، وأنا أعلم انك تعتزم الذهاب بعد انتهاء زيارتك إلى أسرة هاربرتون في تافستوك .. وسوف آمر بأن تقلك سيارتي إلى هناك .. والحق انني أرى انه لا يجدر بي ، وقد استقر قراري ، ألا أتردد أو أتراجع !

وبسط سير شارلز قامته وقد بدت عليه دلائل العزم الراسخ والتصميم القاطع ، وصافح سوتر في حرارة وقوة ..

ثم اوصى به مس ميلراي ..

واستقبلت مس ميلراي قرار سير كارترايت في هدوء تام ، ولم تبد أية دهشة أو تساؤل ..

فقد كانت تخضع للأمر الواقع ، وتكيف نفسها وفق ملابساته ومستلزماته ..

ولذلك راحت تتصل تليفونياً بسماسرة المنازل ، وانهمكت في الكتابة على آلتها الكاتبة لاعداد الاجراءات المطلوبة في هذا الشأن .

وتركها سوتر على هذه الحال وخرج للنزهة على الشاطىء وراح يتمشى دون غرض معين ، او وجهة خاصة .

وفيما هو كذلك جذبته يد من الخلف ، فالتفت ورأى نفسه وجهاً لوجه امام الفتاة (ابج) .

وسألته الفتاة في شراسة :

– ما سر هذا التحول ؟

– أي تحول تعنين ؟

– لقد ذاع في كل مكان ان كارترايت قد قرر مغادرة هذه البلدة والارتحال إلى جهة اخرى .. وأنه سوف يبيع (عش الغراب) !

– هذا صحيح ..

– هل سيسافر حقاً ؟

– بل سافر فعلاً ..

فتأوهت (ابج) وتخلت عن ذراعه .. وبدا من هيئتها كأنما أصيبت بصدمة قوية ضعضعتها ..

ولم يحر سوتر جواباً ..

وسألته قائلة :

– والى اين ذهب ؟

– سافر الى الخارج .. إلى جنوب فرنسا ..

– آه ..

لم يستطع سوتر إلا ان يعزو اضطراب الفتاة الى تعلقها بسير شارلز واعجابها بماضيه الحافل .

وحاول ان يواسيها بكلمات قلائل ، لكنها لم تلبث ان روعته بهذا

السؤال ، اذ قالت في شراسة :

– من مِن هاتين المرأتين الخليعتين تظنها السبب في ذلك ؟

حدق سوتر في الفتاة منذهلا وقد فغر فاه دهشة ..

ولم تلبث (ايج) ان قبضت على ذراعه ثانية ، وهزته بعنف وهي وهي تهتف :

– لا بد أنك تعرف .. من منهما ؟

– الحق يا عزيزتي ، انني لا أفقه مغزى سؤالك ، ولا أدري عمن تتحدثين ؟

– بل تدري .. ولا ريب أن ثمة امرأة ما وراء هذا التحول الفجائي . لقد كان يحبني .. وأنا أعلم أنه كان يحبني ، ولا يمكن إلا أن تكون إحدى هاتين المرأتين قد فطنت إلى ذلك في تلك الليلة التي ضمتنا جميعاً في بيته ، فوطنت نفسها على انتزاعه مني .. إنني أمقت النساء ، فهن كالحرباوات .. هل هي تلك المرأة الأنيقة ، أو هي المدعوة أنجيلا ؟

– الحق يا فتاتي أن لك آراء غاية في الشذوذ .. أن سير كارترايت لا يهتم أدنى اهتمام باحدى هاتين المرأتين ..

– إنني لا أصدقك .. ومهما يكن من أمر فإنهما تبديان نحوه اهتماماً خاصاً ..

– كلا .. كلا .. أنت مخطئة . هذه محض أوهام !

– إذن ما السر في رحيله فجأة على هذا النحو ؟

– أظن انه رأى .. أن من الخير أن يفعل ما فعل .

– تعني أنه فعل هذا بسببي ؟

– ربما !.

– إذن لقد فطن إلى الحقيقة .. وأحسب إني قد كشفت نفسي أكثر

مما يجب .. فإن الرجـال يكرهون أن تتهافت النساء في أثرهم . اليس كذلك ؟. ولا بد ان اعترف بأن أمي محقة في آرائها ، فإنها لا تفتأ تقول : « إن الرجل يكره من المرأة أن تطارده .. ويجب على الفتاة أن تترك مهمة المطاردة إلى الرجل » .. وهذا في الواقع ما لجأ اليه شارلز فقد فر مني .. لقد أصبح يخشاني .. وأسوأ ما في الأمر انني لا استطيع سبيلاً إلى اللحاق به ..

– هرميون .. أأنت جادة فيما تقولين عن كارترايت ؟

– لا ريب في ذلك !

– وما شأنك مع أوليفر ماندرز ؟

فطرحت (ايج) إسم اوليفر مـاندرز من موضوع الحديث بهزة من رأسها !

وهنالك قال سوتر :

– أراك لا تدركين على وجه التحديد السبب الذي بعث سير شارلز على الارتحال الفجائي ، فقد كان يظن أنك تميلين إلى أوليفر ، ولذلك ابتعد عنك حتى يوفر على نفسه عناء العذاب والألم .

فقالت الفتاة وهي تتفرس في وجهه :

– أحقاً تقول ؟

ثم استطردت قائلة بعد قليل :

– إذن فسوف يعود .. نعم سوف يعود .. وإذا لم يعد ..

– حسناً .. لنفرض انه لم يعد !

فضحكت الفتاة وقالت :

– سأحمله على العودة بطريقة ما .. والأيام بيننا .

جلس سوتر في يوم من سبتمبر في إحدى الحدائق العامة بساحل الريفييرا ، يستمتع بأشعة الشمس ويتصفح عدداً قديماً من جريدة (الديلي ميل) يرجع تاريخه الى يومين .

وفجأة وقع بصره على عنوان أثار اضطرابه ..

وقرأ تحته ما يلي :

« وفاة سير برثلوميو سترينج » ..

« ننعي الى القراء بمزيد الأسف السير برثلوميو سترينج ، الأخصائي الكبير في الأمراض العصبية .

« كان الفقيد قد دعا الى منزله في يوركشير فريقاً من أصدقائه ، وكان يتجاذب أطراف الحديث مع مدعويه ، ويتناول كأساً من النبيذ حين انتابته نوبة فجائية ، وفاضت روحه قبل ان يتمكن القوم من استدعاء طبيب لاسعافه .. » !

وتلا ذلك نبذة عن حياة سير برثلوميو .

وترك سوتر الجريدة تسقط من يده ، وتذكر الطبيب الفقيد كما شاهده لآخر مرة ، وقد كان يتمتع بصحة موفورة .

وراح يستعيد في ذهنه بعض العبارات التي طالعها مثنى وثلاث ويفكر في مدلولها .

« يتناول كأساً من النبيذ » ..

« نوبة فجائية » !

كانت ظروف هذه الوفاة تشبه في كثير من مناحيها ما اصاب القس بانجتون .. ترى هل من ..

ورفع سوتر رأسه فشاهد سير شارلز كارترايت يسير فوق الحشائش قادماً اليه .

وما ان دنا منه حتى ابتدره قائلا :

– عجباً !. سوتر ؟!. الحق انك ضالتي المنشودة ، ارأيت ما حل بالمسكين توللي ؟

– كنت اطالع هذا النبأ في التو واللحظة ..

فقال سير كارترايت وهو يتهالك فوق مقعد قريب من سوتر :

– اصغ الي يا سوتر ، لقد كان توللي يتمتع بصحة طيبة .. فهل تحسبني ممن يتعلقون بالأوهام ، او ان هذا الحادث يذكرك بشبيه له وقع في .. في ..

في لوموث ؟. نعم .. هو ما تقول .. لكن لعلنا نخطىء في هذا الظن ، وقد لا تعدو هذه المشابهة ان تكون عرضية ، وفوق ذلك فإن حوادث الوفاة الفجائية تقع في كل زمان ، وان تنوعت الأسباب .

فأومأ سير شارلز برأسه مؤمناً ..

ثم قال :

– لقد وردتني الآن رسالة .. من ابج ليتون جور .

فقال سوتر وهو يحاول اخفاء ابتسامة :

– اهي اول رسالة تتلقاها منها ؟

– كلا .. بل وردتني منها رسالة عقب وصولي الى هنا ، وقد تضمنت طائفة من الأنباء التي جدت بعد رحيلي .. على اني لم اجب عنها ،

والحق يا سوتر اني لم اجد الشجاعة الكافية للإجابة ، ولا ريب ان الفتاة لم يكن يساورها شيء عن حقيقة الموقف .. بيد اني لم أشأ ان اتعامى عن الحقيقة واستغفل نفسي !

فقال سوتر وهو يغالب ابتسامته :

– والرسالة الأخيرة ؟

– انها تختلف عن الأولى ، فهي شبه استغاثة وطلب للنجدة .

– استغاثة ؟

– لقد كانت في المنزل ، حينما وقع هذا الحادث

– أتعني أنها كانت من بين ضيوف سير برثلوميو ستربنج حين توفي ؟

– نعم .

– وماذا قالت في هذا الصدد ؟

فأخرج سير شارلز رسالة من جيبه ، وبعد تردد وجيز قدمها إلى سوتر وهو يقول :

– خير لك أن تقرأها بنفسك .

فبسط سوتر الرسالة في شيء من التلهف ، وقرأ فيها ما يلي :

« عزيزي سير كارترايت ..

« لا أدري متى تصلك هذه الرسالة ، ولكني أرجو أن يتم ذلك في أقرب وقت .. اني نهبة القلق والاضطراب ، ولا أعلم ماذا أفعل .. لعلك طالعت في الصحف نبأ وفاة سير برثلوميو ستربنج .. لقد كانت وفاته مشابهة لوفاة مستر بابنجتون ، ولا يمكن أن تكون هذه المشابهة من قبيل المصادفة .. نعم لا يمكن هذا ..

« ألا يمكنك أن تعود إلى انجلترا وتفعل شيئاً ما ؟. انك كنت تعرب عن بعض الريب التي خامرتك من قبل ، ولم يشأ احد ان يصغي لأقوالك ، والآن ها أنت ذا ترى أن الذي قتل هذه المرة هو صديقك ،

وقد لا يبعد إذا لم تعد ألا يهتدي احد الى الحقيقة ، وانا موقنة انك تستطيع ان توفق اليها .

« ثم هنالك مسألة أخرى .. فإنني شديدة القلق بسبب شخص معين .. نعم قد لا يكون له ادنى اتصال بالموضوع ، ولكن الأمور تكتسب اتجاهاً خاصاً يبعث على العجب . آه . ليس بوسعي ان افصح لك عن غرضي في رسالة . ولكن هلا أتيت ؟ فقد يتسنى لك الوقوف على الحقيقة ، وانا اعرف انك على ذلك قدير » .

المخلصة : ايج

وقال سير كارترايت في شيء من الضجر بعد ان فرغ صاحبه من تلاوة الرسالة :

– رسالة مضطربة غير متماسكة ، وقد سطرتها في عجلة ، ولكن ما مغزاها ؟

فطوى سوثر الرسالة متمهلا ، واخلد الى الصمت قليلا ، قبل أن يجيب بقوله :

– ما رأيك فيمن تعنيه بقولها : « شخص معين » ؟

– أحسب انها تعني ماندرز ..

– هل كان هناك هو ايضاً ؟

– لا بد .. ولا أعلم السبب . ولم يقابله تولمي من قبل الا في ذلك الاجتماع الذي عقد في منزلي .. ولا استطيع ان اتصور السبب الذي حفز تولمي الى دعوته ..

– هل اعتاد برثلوميو أن يقيم في بيته حفلات كبيرة من هذا النوع ؟

– كان يقيم ثلاث او اربع حفلات في العام ، وقد الف ان تقع احدى تلك الحفلات في عيد (سانت ليجر)

– هل كان يقضي كثيراً من وقته في يوركشير ؟
– لقد أنشأ مصحة هناك .. وكان قد ابتاع قصراً قديماً يدعى (ميلفورت آبي) فأصلحه وابتنى بجواره المصحة ..
– ترى من كان باقي المدعوين ؟
ورأى سير كارترايت انه يمكن معرفة ذلك بالبحث في الصحف القديمة ..
ولذا قصدا من فورهما الى احد محلات بيع الصحف واخذا يفتشان ، وما لبث سير كارترايت ان قال :
– ها هي بغيتنا ..
وراح يقرأ النبذة التالية بصوت مسموع :
« دعا سير برثلوميو ستربنج الى ضيافته فريقاً من اصدقائه بمناسبة عيد (سانت ايجر) .
« ومن بين مدعويه : لورد وليدي ادن ، وليدي ماري ليتون جور ، وسير جوسلين ، وليدي كامبل ، والكابتن ديكرس وزوجته ، والممثلة المعروفة الآنسة انجيلا ستكليف » ..
وتبادل كلاهما نظرة متسائلة !
ثم قال كارترايت :
– هناك ديكرس وزوجته .. وانجيلا ستكليف .. لكن لا يوجد ما يشير الى حضور اوليفر ماندرز ..
فقال سوتر :
– لنبحث عن ملحق (الديلي ميل) الذي يطبع هنا بتاريخ اليوم ، فقد يتضمن شيئاً من الانباء ..
وتناول الصحيفة والقى عليها نظرة ..
وما لبث أن هتف قائلا

- يا الهي .. استمع لهذا النبأ يا سوتر ..
وقرأ ما يلي :
« سير برثلوميو سترينج ..
« كان اليوم موعد التحقيق في وفاة السير برثلوميو سترينج ، وقد انتهى المحقق الى ان الوفاة حدثت بالتسمم بالنيكوتين ، وليس هناك ما يشير إلى من دس له السم ، وكيف دس » ..
وقطب سير كارترايت وجهه عقب تلاوته هذه النبذة ..
وقال :
- التسمم بالنيكوتين . يبدو أن هذه المادة تصرع الانسان فوراً ..
- وماذا عولت أن تصنع ؟
- سأحجز مكاناً في (القطار الأزرق) الذي يسافر هذه الليلة ..
- حسناً . أحسب انني سأحذو حذوك ..
- أنت ؟
فقال سوتر :
- ان أمثال هذه الحوادث مما يدخل في نطاق هواياتي ، وفوق ذلك فإن لي معرفة بالكولونيل جونسون رئيس الكونستابلات في تلك الجهة . وربما كان في هذا بعض الفائدة !
فهتف سير كارترايت قائلاً :
- أحسنت يا صاحبي .. هيا بنا إلى مكتب (شركة عربات النوم) لنحجز أماكننا !

* * *

دخل سير كارترايت بمفرده إلى مكتب الشركة ، بينما أخذ سوتر يتجول متمهلاً في حديقة امام مبنى الشركة .

وفيما هو يسير لمح رجلاً صغير الحجم جالساً فوق أحد المقاعد ، وهو يتطلع إلى ما أمامه مفكراً ..

وما كاد هذا الرجل يدير رأسه حتى عرفه سوتر ..

فهتف به قائلاً :

- مسيو بوارو .. هذه مفاجأة سارة ..

- أهلاً بك يا سيدي !

وتصافح الاثنان

وجلس سوتر إلى جانبه وقال :

- يلوح لي أن جميع الناس قد انتقلوا إلى مونت كارلو .. فقد قابلت سير شارترايت منذ اقل من نصف ساعة .. وهأنذا الآن أقابلك .

- سير كارترايت ؟ اهو هنا كذلك ؟

- انه منهمك في الرياضة البحرية وسباق الزوارق ، هل علمت انه باع منزله في لوموث ؟

- آه .. كلا .. لم أعلم بذلك .. هذا نبأ يدعو إلى الدهشة .

فقال سوتر :

- إذا كان هذا النبأ يدهشك فإنه لا يدهشني .. فليس سير كارترايت بالرجل الذي يرضى ان يعيش إلى الأبد بمعزل عن العالم !

- هو ما تقول ، وأنا اتفق معك في هذا الصدد .. على ان دهشتي ترجع إلى اعتبار آخر .. فقد كان يلوح لي أن ثمة دافعاً معيناً يحمل سير كارترايت على البقاء في لوموث .. وهو دافع شديد الطرافة كبير البهجة . ما رأيك في تلك الفتاة الظريفة التي تدعى (ايج) ؟

- آه .. إذن فلم يفتك ان تلاحظ هذه الظاهرة ؟

فقال بوارو

- لا جدال في اني لاحظتها .. انني أعطف من كل قلبي على العشاق وأحسبك مثلي تستجيب لهذا الشعور ، وفوق ذلك فإن الشباب يجتذب النفوس ويأسرها .

- اعتقد أنك أصبت في تحديد السبب الذي حمل سير شارلز على مغادرة لوموث ، الواقع انه فر منها فراراً .

- من الآنسة ايج ؟ لكن من الجلي انه يهيم بها إلى حد العبادة ، فلم اذن يفر منها ؟

فأجاب سوتر

- آه . أنت لا تدرك طبائعنا نحن الانجليز .

فقال بوارو وهو يعلل هذه المسألة بطريقته الخاصة :

- لا ريب انه يعرف طريقه ، فالمثل يقول اهرب من المرأة تتبعك على الأثر .. ولا ريب ان سير كارترايت وهو الرجل الخبير بالنساء يعرف هذا حق المعرفة .

- لا أحسب ان هذه هي الحقيقة بحذافيرها ، ولكن اخبرني ماذا تفعل هنا ؟ اتقضي اجازة ؟

- ان حياتي الآن اجازة متصلة .. لقد نجحت في حياتي .. وأنا الآن موسر .. ولذا اعتزلت الخدمة .. ولا يشغلني غير الطواف بمختلف البلاد .

وما لبث سوتر بعد شيء من التردد ان بسط الصحيفة التي كانت لا تزال معه .. وأشار الى النبذة التي وردت بها عن وفاة السير برثلوميو وقال :

- هل اطلعت على هذا النبأ يا مسيو بوارو ؟

وقرأ بوارو النبذة مرتين ..

ثم طوى الصحيفة وأعادها الى سوتر قائلا :

– هذه مسألة جديرة بالاهتمام !

– هو ما تقول ، ويبدو لنا الآن ان سير شارلس كان محقاً فيما ذهب اليه يوم وفاة بانجتون ، واننا تنكبنا الصواب !

فقال بوارو :

– نعم .. يبدو أننا تنكبنا الصواب ، وأقرر لك يا صاحبي ، انني لم أستطع أن أصدق أن مثل ذلك الكهل الوديع يمكن أن يقتل ، على أنه لا يبعد أن أكون قد أخطأت في ظني ، ترى أين سير شارلس الآن ؟

– انه في مكتب (شركة عربات النوم) ، وقد اعتزمنا كلانا أن نعود الى انجلترا هذه الليلة .

– أحقا ؟. إن سير شارلس رجل شديد النشاط ، اذن لقد اعتزم أن يقوم بدور البوليس الهاوي ؟ هل هناك دافع آخر ؟

فلم يجب سوتر عن هذا السؤال .

على ان بوارو قد استخلص من سكوته الجواب المنشود ..

اذ قال :

– فهمت ان شخص الآنسة ذات العينين الجميلتين له ضلع في ذلك ، اذن ليست الجريمة وحدها هي الدافع ؟

– انها كتبت اليه وسألته ان يعود .

فأومأ بوارو برأسه ..

ثم أخلد الى الصمت !

وهم سوتر بالكلام ، بيد أنه تردد ، ثم استوى قائماً .

وعبثاً حاول سوتر أن يستدرج بوارو الى الاهتمام بموضوع الحديث ،

وقال آخر الأمر :

- أتمنى لك وقتاً هنيئاً .

- شكراً لك !

وأخرج سوتر بطاقة من جيبه وقال :

- آمل ، حينما تأتي فيما بعد الى لندن أن تتفضل بزيارتي .. هاك عنواني ..

- أنت رجل كريم يا مستر سوتر ، سوف يكون من بواعث غبطتي أن البي دعوتك .

- الى اللقاء اذن !

وابتعد سوتر ، وشيعه بوارو ببصره ، ثم أشاح بوجهه واستغرق في التفكير ..

وبعد بضع دقائق نهض من مكانه واخذ يسير متمهلا ، موليساً وجهه شطر مكتب (شركة عربات النوم) .

- ٧ -

رحب الكولونيل جونسون رئيس الكونستابلات بمستر سوتر وابدى سروره بلقائه !

كما اعرب عن ابتهاجه بالتعرف الى سير شارلس كارترايت الممثل القديم الذائع الصيت .

ولما كاشفاه بغرضهما من زيارته في مكتبه ، اعرب عن استعداده لاطلاعهما على كل ما يعرف وقال

- اهو صديق لكما ؟ ان هذا مما يؤسف له ، والحق ان سير برثلوميو ستربنج ، قد اشتهر ، أثناء إقامته هنا بدماثة الخلق والبراعة الفائقة في مهنته ، ونالت المصحة التي أنشأها شهرة واسعة ، ويبعد فيمن كانت هذه صفاته أن يقدم أحد على قتله . لكن كل الظروف تشير إلى وقوع جريمة قتل ، ولا يوجد ما يشير إلى الانتحار ، كما يستبعد جداً أن تكون وفاته بالقضاء والقدر !

فقال سير شارلس :

- لقد وصلت وصديقي سوتر من الخارج تواً ، ولم يتح لنا أن نقف إلا على نبذ متفرقة في الصحف .

فقال الكولونيل جونسون :

- طبيعي أنكما تودان أن تقفا على كل شيء ، وهانذا اطلعكما على

ظروف القضية ، وفي رأيي أن رئيس الخدم هو الذي يجدر بنا أن نبحث عنه ، فهذا الرجل قد التحق بخدمة سير برثلوميو منذ أسبوعين وما لبث أن اختفى عقب وقوع الجريمة ، ولم نقف له على أي أثر .

– أليست لديكم فكرة ما عن مقره الحالي ؟

– أعترف لك بأننا قد قصرنا في هذه الناحية ، نعم إن هذا الرجل قد وضع تحت المراقبة كغيره ، وأجاب عن الأسئلة التي وجهت اليه إجابة مرضية ، وارشد إلى مكتب (التخديم) ، الذي ساعده على الالتحاق بخدمة سير برثلوميو ، وكان يعمل من قبل لدى سير هوراس بيرد .

وراح يلقي إجاباته في تأدب جم ، ولم يكن يبدو عليه ما يوجب الاشتباه في أمره .

على أنه لم يلبث أن ، اختفى رغم أن المنزل كان موضوعاً تحت المراقبة وقد استدعيت رجالي وحققت معهم ، بيد أنهم أقسموا أنهم لم يغفلوا لحظة ولم يتهاونوا ..

فقال سوتر :

– هذه مسألة تبعث على الدهشة .

وقال سير كارترايت وهو يفكر :

– الحق إن هذا تصرف يدل على الحمق ، فقد كان هذا الرجل يعلم أن أحداً لا يشك فيه ، وفراره على هذا النحو يثير الشبهات ضده ..

فقال الكولونيل :

– هو ما تقول .. وأعتقد أنه لم يبق أمامه أمل في الافلات ، فقد أذيعت أوصافه في كافة أنحاء انجلترا ، ولن تنقضي أيام معدودات حتى يقبض عليه !

– هل قمت بتحريات للتثبت من صحة البيانات التي أدلى بها عن

نفسه ؟

- طبيعي يا سير شارلس .. وهذه أمور مألوفة لدينا .. لقد أيد مكتب (التخديم) أقوال الرجــل .. وكان يحمل شهادة من سير هوراس بيرد تزكية حارة ، ولكن سير هوراس موجود الآن في افريقيا الشرقية .

- إذن فلا يبعد ان تكون هذه الشهادة زائفة ؟

- هو ما تقول ، وقد أبرقنا إلى سير هوراس بالموضوع ، لكن قد يمضي بعض الوقت قبل ورود الاجابة ، فهو لا يستقر في منطقـة معينة .

- ومتى اختفى هذا الرجل ؟

- في صباح اليوم التالي للوفاة ، وكان من بـين المدعوين إلى العشاء طبيب يدعى سير جوسلين كامبل ، وقد طـابق رأيه في الوفـاة رأي الطبيب المحلي دافيس ، ولذلك أخطر رجالنا على الأثر .

وقد استجوبنا الجميع في تلك الليلة ، وذهب رئيس الخدم المدعو اراليس إلى غرفته كالمألوف ، بيد انه لم يوجد في الصباح ، وبقي فراشه مرتباً كما كان .. مما يدل على أنه لم يقض ليلته فيه .

- هل فر تحت جنح الظلام ؟

فقال الكولونيل :

- هذا ما يبدو لنا . على ان إحدى المدعوات ، وهي الآنسة ستكليف الممة ، وربما كنت تعرفها ..

فقال كارترايت :

- أعرفها حق المعرفة !

- هذه الآنسة أبدت لنا رأياً مؤداه ، أن الرجل قد غادر المنزل عن طريق ممر سري . وإذا كان يبدو في هذا الرأي شيء من الخيال

الخصب ، فلا يستبعد حدوث ما ذكرته هذه الآنسة !

وقد أضافت إلى ذلك أن السير برثلوميو كان شديد الاعجاب بالممر المذكور ، وانه قد سار بها في داخله ، فوجدته ينتهي عند بناء متهدم يبعد نحو نصف ميل عن القصر .

فقال السير كارترايت :

- قد يبدو هذا التفسير معقولاً ، ولكن هل اتيح لرئيس الخدم أن يعلم بوجود الممر ؟

- هذا اعتراض وجيه ، ولكني أعتقد ان الخدم لا يفوتهم كثير من الدخائل والأسرار .

وقال سوتر :

- اني قرأت ان التسمم حدث بواسطة النيكوتين .

- هذا صحيح .. وأعتقد أن هذه المادة غير مألوف استخدامها ، على اني فهمت ان المرء إذا أسرف في التدخين ، كما هو شأن الطبيب المتوفي ، فإن هذه المادة تعجل بالوفاة

- وكيف تيسر دسها ؟

فقال الكولونيل جونسون :

- لا ندري ، وهذا موضع الضعف في القضية ، ويؤخذ من التقرير الطبي ان القتيل قد تناولها قبل حدوث الوفاة ببضع دقائق !

فقال كارترايت :

- فهمت أن النبيذ هو الشراب الذي قدم للمدعوين ؟

- هو ما تقول .. وكان يلوح أن السم قد دس له في الشراب ، بيد أنه لم يقم دليل على ذلك ، فقد أجري تحليل الكأس التي شرب منها ، ولم يوجد بها غير النبيذ ..

وكانت بقية الكؤوس قد أزيلت بالطبع ، بيد أنها وضعت جميعاً في

في المطبخ قبل تنظيفها ، ولم يكن بها ما يوجب الاشتباه .. وقد أكل مما أكل منه سائر المدعوين ، ومضى على الطاهية في خدمته خمسة عشر عاماً ..

كلا .. يلوح لنا أن السم لا يمكن أن يكون قد دس له بأي وجه من الوجوه .. ومع ذلك فقد أثبت الفحص الطبي وجوده في جوفه هذه قضية شديدة التعقيد .

فقال كارترايت وهو ينظر إلى سوتر :

– هذا عين ما حدث من قبل .

وانثنى إلى الكولونيل وقال معتذراً :

– يجدر بي أن أوضح لك ما أرمي اليه .. فقد حدثت وفاة بمنزلي في مقاطعة كورنول ..

– إنني سمعت بهذا الحادث .. سمعته من آنسة تدعى ليتون جور ..

فقال سوتر

– نعم .. إنها شهدت هذا الحادث فهل أخبرتك به ؟

– أجل . وكانت متحمسة لنظريتها . ولكني أصارحك انني غير مقتنع بها . فهي لا تفسر لنا فرار رئيس الخدم ، هل فر الخادم في الحادث الذي وقع لديك ؟

– لم يكن لدي خادم ، بل خادمة !

– لا يمكن بالطبع أن تكون رجلا متنكراً في زي امرأة ؟

فابتسم سير كارترايت ، حين استعرض في ذهنه جمال الخادمة ورشاقتها ..

وكذلك ابتسم جونسون معتذراً وقال :

– هذا مجرد رأي عارض . ولا يسعني ان أقرر انني أستطيع

أعول على نظرية الآنسة ليتون جور ، وقد علمت أن الضحية في الحادث الأول كان قساً متقدم السن .. فمنذا الذي يقدم على اغتيال قس ؟

فأجاب سير شارلس :

– هذا هو الجانب المحير في القضية !

فقال الكولونيل :

– أعتقد أنه سيتبين لك أن هذه المشابهة عرضية .. ولك أن تثق بأن رئيس الخدم هو المجرم المنشود في قضيتنا هذه .. وأكبر الظن أنه مجرم عريق في الاجرام . ومن سوء الحظ أننا لم نوفق إلى بصمات أصابعه ، وقد عهدنا إلى أحد الخبراء في البصمات بالتفتيش عن بصماته في غرفة نومه ، وفي جناح المطبخ ، لكنه لم يهتد إلى شيء .

فسأل كارترايت :

– إذا صح أن رئيس الخدم هو القاتل ، فما رأيك في الدافع إلى الجريمة ؟

– هذه هي إحدى المصاعب التي تواجهنا .. فقد يكون الرجل قد التحق بخدمة سير برثلوميو بقصد السرقة ، ففاجأه الطبيب واكتشف أمره ..

لم يكن هذا التعليل من القوة بحيث يقنع كارترايت وسوثر ، ولذا لزما الصمت احتراماً لصاحبه .

وقال كارترايت آخر الأمر :

– أحسب انكم قد فحصتم اوراق سير برثلوميو ؟

فأجاب جونسون :

– لا ريب في ذلك .. وقد أعرنا هذا الجانب عناية خاصة .. ويجدر بي أن أقدمك إلى المفتش كروسفيلد مساعدي ، الذي يتولى

التحقيق في القضية ، وهو رجل يعول عليه . وقد ذكرت له انه قد يكون لهذه الجريمة اتصال ما بمهنة سير برثلوميو ، فوافقني على هذا الرأي من فوره .

والحق أن الطبيب يتاح له ، عن طريق هـذه المهنة ان يطلع على كثير من الأسرار . وقد حصرت اوراقه ، وتولى كروسفيلد فحصهـا بمساعدة سكرتيرة القتيل ، الانسة ليندون .

– ألم تجدوا فيها شيئاً ؟

– كلا .. يا سير شارلس .. لم نجد بها ما يرشدنا إلى ادنى أثر !

– هـل فقدت اشياء من المنزل ، كالأواني الفضية ، والحـلى .. وما اليها .

فقال جونسون :

– لا شيء على الاطلاق !

– من كان بالمنزل من المدعوين ؟

– لقد اعددنا قائمة بأسمائهم ، وهي الان مع كروسفيلد .. وانا اتوقع قدومه بين لحظة واخرى .. ها هو قد جاء .

ودخل المفتش كروسفيلد ، وهو رجل جامد الوجه ، ازرق العينين ، حاد النظر ..

فحيا رئيسه الذي قدمه إلى زائريه .

وقال كروسفيلد موجهاً حديثه إلى سير كارترايت :

– الحق يا سيدي ، إن هـذه القضية غريبة .. ولم أصادف طوال حياتي حادث تسمم بالنيكوتين ، وكذلك الحال مع الدكتور دافيس .

وقال كارترايت :

– لقد خطر لي ان الأفراط في التدخين يسبب التسمم بالنيكوتين .

– لقد خطر لي هـذا الرأي ، ولكن الطبيب قرر ان المركب

الكيميائي من هذا السم هو سائل لا لون له ، وأن بضع قطرات منه كافية للقضاء على الانسان فوراً .. ومن المعلوم أنه يستخلص من التبغ العادي !

وسأل الكولونيل جونسون المفتش كروسفيلد :

– هل من جديد يا كروسفيلد ؟

– لم نظفر بشيء محدد ، وقد وردتنا تقارير من أماكن متعددة ترشد إلى أثر أرليس ، لكن اتضح عدم صحتها .

فسأل كارترايت :

– ما هي أوصاف هذا الرجل ؟

فأخرج جونسون ورقة من جيبه واقتطف منها ما يلي :

« جون أرليس متوسط الطول ، أسود العينين ، ذو شعر يتدلى فوق عارضيه ، ينحني قليلاً في مشيته ، تنقصه سن في فكه الأعلى ، وليست له علامات خاصة تميزه » .

فقال كارترايت :

– هل أنت مقتنع يا مستر كروسفيلد بأن أرليس هو القاتل ؟

فأجاب كروسفيلد :

– وما الذي يحمله على الفرار إذا لم يكنه ؟

والتفت كروسفيلد إلى الكولونيل وقص عليه الاجراءات التي اتخذها في تحقيق القضية .

فوافقه الكولونيل على ما فعل ..

ثم طلب اليه أن يعطيه القائمة المتضمنة أسماء من كانوا بالمنزل ليلة الجريمة

وأخرج كروسفيلد هذه القائمة ، فقدمها الكولونيل إلى الزائرين ، فإذا هي تتضمن ما يلي :

مارتاليكي - طاهية .

بياتريس لشيرش - خادمة بالطابق العلوي .

دوريس كوكر - خادمة بالطابق الأرضي .

فكتوريا بال - خادمة .

اليس وست - وصيفة .

فيوليت بادنجتون - خادمة المطبخ

وهؤلاء جميعاً كن في خدمة الطبيب منذ زمن وسلوكهن حسن ، وقد مضى على الطاهية وحدها خمسة عشر عاماً .

جلاديس ليندون - سكرتيرة ، في الثانية والثلاثين من عمرها .

الضيوف :

اللورد والليدي أدن - السير جوسلين واللادي كامبل - الانسة انجيلا ستكليف - الكابتن ديكرس وزوجته - الليدي ماري والانسة هرميون ليتون جور - الانسة موريل ولز - مستر أوليفر ماندرز » .

وقال سير كارترايت حين فرغ من تلاوة القائمة :

- أرى أن الشاب ماندرز كان بين المدعوين كذلك

فقال كروسفيلد :

- كان وجوده مصادفة .. فقد اصطدم بسيارته في جدار قريب من المنزل ، وعرض عليه سير برثلوميو ، وكان يعرفه معرفة يسيرة ، ان يقضي الليلة عنده ، ولا أستطيع أن أعلل سبب اصطدامه بالجدار على هذا النحو إلا إذا كان ثملا ..

فقال كارترايت :

- مهما يكن من أمر فانني عاجز عن شكرك .. والان هل تسمح لي ولصديقي بزيارة منزل سير برثلوميو .

- بكل سرور يا سيدي ..

- هل بقي بالمنزل أحد ؟

- لا يوجد غير الخدم ، فقد تفرق الضيوف عقب انتهـــاء التحقيق ، وعادت الانسة ليندون إلى منزلها بشارع هارلي .

فسأل كارترايت :

- وهل نستطيع مقابلة الدكتور دافيس كذلك ؟

- هذه فكرة طيبة .

ووقفا على عنوان الطبيب ..

ثم شكرا الكولونيل جونسون وانصرفا ..

- ٨ -

كانت بعض أجنحة قصر (ميلفورت أبي) يرجع تاريخها إلى القرن الخامس عشر ، وقد أضيف اليها في العهد الأخير جناح حديث ، بينما شيدت المصحة بعيداً عن القصر في منطقة قائمة بذاتها .

وما أن وصل سير شارلس ومستر سوتر إلى القصر حتى استقبلتهما الطاهية مدام ليكي ، وهي امرأة بدينة ارتدت ثوب الحداد وبدت آثار الدموع في عينيها

وكانت تعرف سير شارلس من قبل ، ولذلك بادرته قائلة :

- هذه كارثة ما كنا نتوقعها يا سيدي .. وقد أخذ رجال البوليس يترددون علينا في كل لحظة ، ويضيقون علينا الخناق ، وقد استجوبوا الخادمات وأسرفوا في استجوابهن ، ولكني أكدت لهم أنهن من طراز لا غبار عليه ، ولا يمكن أن يكون لهن ضلع في الجريمة

وكفت مدام ليكي عن الكلام لحظة .

ثم استطردت قائلة :

- أما أرايس فأمره يختلف ، انني لا أعرف شيئاً عن هذا الرجل ، ولم أستطع أن أدلي عنه بأية معلومات .. فقد جاء من لندن ، وهو غريب عن هنا ، بينما كان بيكر في الاجازة !

فقال سوير :

- بيكر ؟

فقالت مدام ليكي

- كان بيكر رئيساً للخدم طوال سبعة أعوام ، وقد أمضى كل هذه المدة في لندن في شارع هارلي ، ولا شك أن سير شارلس يتذكره .

ولما أومأ برأسه إيجاباً استطردت قائلة :

- وقد اعتاد سير برثلوميو أن يأتي به إلى هنا كلما دعا لديه ضيوفاً ، ولما كان يشعر باعتلال في صحته ، فقد منحه سير برثلوميو شهرين إجازة يقضيها في بقعة بالقرب من مشق بريتون الجميل وتكفل بدفع نفقاته ، وهو كرم محمود من سيدي الفقيد . ثم التحق بخدمته أرليس لمدة معينة ، ولذلك لا أستطيع أن أفضي بمعلومات عن هذا الرجل ، وإن كان هو نفسه قد قرر أنه خالط كبار القوم ، ومن الحق ان أقرر أن هذا الوصف كان ينطبق على سلوكه .

فقال كارترايت :

- ألم تلاحظي في مسلكه شيئاً غير مألوف ؟

- بدا لي من تصرفه أنه رجل شديد التحفظ ، وكان يقضي جل وقته معتكفاً في غرفته الخاصة

فقال سوير :

- ألم يخطر لك انه قد لا يمت إلى مهنته بصلة ؟

- الواقع أنه كان يؤدي عمله خير اداء .

- أيمكنك أن تصفيه لنا ؟

- هو رجل وقور ، ذو شعر أشيب يتولى فوق عارضيه ضعيف البصر يستعمل نظارة وينحني قليلا في مشيته .

- وكيف كان مسلكه ليلة الكارثة ؟

- الواقع يا سيدي انني كنت منهمكة في المطبخ ، ولم يتسن لي ان ألاحظ شيئاً وما كدنا نعلم بوفاة رب الدار حتى صعقنا جميعاً ، فرحت انتحب انتحاباً شديداً

وكذلك تأثرت سائر الخادمات كل التأثر ، وطبيعي ان ارليس لم يبلغ منه الحزن ما بلغ منا نظراً لحداثة عهده بيننا ، بيد انه شاركنا ألمنا وأصر على أن اتناول وبياتريس شيئاً من الشراب ، حتى نستطيع ان نقوى على احتمال الصدمة ، على اني اكاد انفجر غيظاً حين افكر انه كان أثناء ذلك كله يخادعنا ..

وامسكت عن اتمام عبارتها وقد لمعت عيناها غضباً واهتياجاً

فقال سوتر

- علمت انه اختفى في تلك الليلة ؟

- نعم يا سيدي ، ذهب إلى غرفته مثلنا ، فلما اقبل الصباح لم يكن له أثر ، وهذا ما حمل رجال البوليس على ان يجدوا في اثره .

- نعم .. نعم ، تلك حماقة منه .. اليست لديك فكرة عن الطريقة التي غادر بها المنزل

- كلا .. وقد علمت ان رجال البوليس كانوا يراقبون المنزل طوال الليل فلم يشاهدوه وهو يهرب ، لكن رجال البوليس بشر مثل كل الناس .

فقال كارترايت :

- سمعت شيئاً يقال عن وجود سرداب ، او ممر سري .

- هذا ما يقوله رجال البوليس .

- أتعرفين أين يبدأ هذا الممر ؟

- كلا يا سيدي ، لا أعرف !

فقال كارترايت :

- ترى ، هل يمكن ان نلقي بعض الأسئلة على سائر الخادمات ؟

– لا ريب في ذلك ، لكنهن لن يفضين اليك بأكثر مما قررن .

– آه . إني اقدر ما تقولين ، لكنني لا اهتم بالسؤال عن ارليس بقدر ما يهمني ان اقف على اطوار سير برثلوميو في تلك الليلة ، وما إلى ذلك ، ولا شك انك تدركين انه كان صديقاً حميماً ..

– فهمت يا سيدي ، لديك بياتريس ، والبس التي كانت تقوم بخدمة المدعوين اثناء الطعام ، سأنادي اولاً بياتريس تشيرش ، خادمة الطابق العلوي .

كانت هذه الخادمة طويلة القامة ، تبدو عليها دلائل المهابة .

وبعد ان القى عليها كارترايت بعض الأسئلة الثانوية ، انتقل إلى الكلام عن مسلك الضيوف ليلة المأساة ، وهل تأثروا تأثراً شديداً ، وما هي الأفعال التي بدرت منهم ، والأقوال التي تفوهوا بها ؟

فقالت بياتريس :

– لم تستطع الآنسة سنكليف ان تحتمل الصدمة ، فانهارت اعصابها وهي آنسة رقيقة المشاعر ، وقد ترددت على القصر من قبل .. ولما عرضت عليها ان اجيئها ببعض الشراب ، رفضت وإن كانت قد تناولت بعض الأسبرين

– وعائلة ديكرس ؟

فقالت بياتريس ، وقد اتضح من لهجتها انها لا تميل إلى سنثيا ديكرس :

– لا احسب ان هناك ما يمكن ان يؤثر في هذه السيدة ، تأثيراً شديداً ، وقد ابدت تلهفاً لمغادرة المنزل ، قائلة ان عملها في لندن يحتم عليها العودة ..

– وزوجها ؟

– حاول ان يهدىء اعصابه ، فأسرف في الشراب .

- والليدي ماري ليتون جور ؟

- إنها سيدة لطيفة ، محبوبة من كل انسان ، وكذلك ابنتها .. ومع أنها لم تتصلا بسير برثلوميو من عهد طويل ، فقد حزنتا عليه أشد الحزن .

- والآنسة ولز ؟

فأجابت بياتريس وقد تصلب وجهها :

- إني أعجز عن تبيان شعور للآنسة ويلز ؟

ولما الح عليها قالت :

- الحق أن سلوكها لم يكن متفقاً مع ما كان ينبغي ، وقد صدرت منها تصرفات لا تصدر عن آنسة من الطبقة الراقية .

وحاول أن يستوضح الخادمة عن هذه التصرفات .

ولكنها لم تقرر إلا ان الانسة ويلز كانت تتطفل وتحشر أنفها فيما لا يعنيها

وقال سوثر آخر الأمر :

- جاء لديكم مستر ماندرز على غير انتظار ، اليس كذلك ؟

فردت بياتريس :

- نعم يا سيدي .. فقد اصطدم بسيارته قرب باب المنزل الخارجي ، وقرر أنه من حسن حظه ، أن وقع له هذا الحادث هنا .. ومع أن المنزل كان حافلا بالضيوف ، فإن الانسة ليندون أعدت له فراشا في غرفة المكتب .

- هل دهش الجميع حين رأوه ؟

- هذا طبيعي .

ولما سئلت بياتريس عن رأيها في ارليس ، لم تستطع أن تدلي بشيء إذ لم يتح لها أن تتصل به كثيراً .

نعم ، إن اختفاءه على هـذا النحو يسيء إلى موقفه . لكنها لا تستطيع أن تدرك العوامل التي قد تدفعه إلى اغتيال السير برثلوميو .

وقال سوتر :

– وكيف كان حال السير برثلوميو في تلك الليلة ؟

ردت الخادمة :

– كانت تبدو عليه دلائل المرح والابتهاج ، بل انني سمعته يمزح مع أرليس ، وهو ما لم يفعله قط مع سلفه بيكر .

فقال سوتر باهتمام :

– وكيف حدث ذلك ؟

– كان أرليس قد جاء يبلغه إشارة تليفونية تلقاها ، فسأله السير برثلوميو عما إذا كان قد نقل اليه الأسماء على صحتها ، فلما أجابه بالايجاب ، قال الطبيب ضاحكاً : « أنت رجل طيب يا أرليس ، بل أنت في عملك من الطراز الأول .. ما رأيك يا بياتريس ؟ » . وأصارحك يا سيدي انني ذهلت من اللهجة التي خاطبنا بها السير برثلوميو ، فقد كانت غير مألوفة منه ، ولم أستطع أن أتفوه بشيء .

– وماذا كان موقف أرليس ؟

– كان مظهره يدل على عدم رضائه ، وكأنه لم يألف مثل هذه المعاملة فهو رجل محافظ .

فقال شارلس :

– وماذا كان مضمون تلك الاشارة التليفونية ؟

– كانت صادرة من المصحة ، بشأن مريضة وصلت اليها وقطعت رحلتها بسلام .

– هل تتذكرين اسمها ؟

فقالت بياتريس في تردد :

- هو اسم غريب يا سيدي .. مدام دي رشبريدجر ، أو ما يشبه هذا .

- حسناً .. شكراً لك يا بياتريس .. يحسن بنا أن نرى اليس الآن ..

ولما خرجت بياتريس قال كارترايت محدثاً سوتر بصوت خافت :

- الخلاصة أن الآنسة ويلز كانت تتطفل وتحشر أنفها ، والكابتن ديكرس شرب حتى ثمل ، ومدام ديكرس لم تبد أقل تأثر ، فهل استفدنا شيئاً ؟

- لا أظن ..

• • •

كانت اليس في الثلاثين من عمرها ، ذات شعر فاحم قسوده ، وتميل إلى التبسط في الكلام .

وقررت هذه الخادمة أنها لا تعتقد ان أرليس ارتكب هذه الجريمة ، فقد كان في سلوكه أدنى إلى الرجل المهذب ، وإذا كان رجال البوليس قد ذكروا أنه من طبقة المجرمين ، فهي موقنة بأنه لا يمت إلى هذه الفئة بأدنى صلة .

فقال شارلس :

- ألا تظنين أنه قد دس السم لسيدك ؟

- لست أرى كيف يمكن أن يفعل ذلك ، فقد كنت أقوم معه بخدمة المائدة ، ومحال أن يدس لسيدي شيئاً في طعامه دون أن أبصره .

- وما رأيك في الشراب ؟

- كان ارليس يطوف بألوان الشراب على المدعوين ، ولو كان به شيء

من السم لظهرت اعراضه عليهم جميعاً .

– وهل ازيلت الكؤوس من غرفة الطعام فوق صينيه ؟

– نعم يا سيدي .. اني حملت الصينية بنفسي حيث وضع ارليس الكؤوس فوقها ، وقد حملتها إلى المطبخ حيث بقيت في موضعها حتى رآها رجـال البوليس وتولوا فحصها ، فلم يجدوا بها شيئاً .

– انت متأكدة ان سيدك لم يتناول شيئاً من الطعام او الشراب لم يقربه سائر المدعوين ؟

– نعم .. في حدود ما وقع تحت بصري .

– ألم يقدم له احد الضيوف شيئاً ما ؟

– كلا يا سيدي !

– اتعرفين شيئاً عن وجود ممر سري ؟

– اخبرني البستاني عن هذا الممر ، وقال انه ينتهي في الغابة عند بعض المباني القديمة المتهدمة ، لكني لم اشاهد قط مدخله في المنزل .

– ألم يقل ارليس شيئاً عنه ؟

– كلا يا سيدي ، واعتقد انه لا يعرف شيئاً عن هذا الممر .

– من تظنين قتل سيدك يا اليس ؟

– لا اعلم .. ولا استطيع ان اصدق ان احداً يقدم على هذه الفعلة ، واشعر ان هذا الحادث قد وقع قضاء وقدراً .

وقال كارترايت عقب انصراف الخادمة :

– لو لم تكن ثمة جريمة اخرى هي مقتل بابجتون لقلنا ان هذه الخادمة هي الجانية .. هي فتاة مليحة ، وقد قامت بالخدمة حول المـائدة .. كلا . هذا لا يجدي ، إن بابجتون قد قتل كذلك ، وعلى كل حال فإن توللي لم يكن يعير الفتيات المليحات اهتماماً .

وقال سوتر :

- لكنه كان في الخامسة والخمسين من عمره .
- ماذا تعني ؟
- ذلك ان الرجل في مثل هذه السن يركب رأسه ويطير صوابه من اجل فتاة ، حتى ولو لم يكن له بذلك سابق عهد .
- كلام فارغ يا عزيزي ، انا شخصياً اتقدم نحو الخامسة والخمسين .
- اعرف ما تقول !
ولم يستطع كارترايت إلا ان يغض بصره تحت نظرة صاحبه المعنوية وتورد وجهه خجلاً .

- ٩ -

قال سوتر وقد أطربه ذلك التورد الذي علا وجه صاحبه :

– ما رأيك في تفتيش غرفة رئيس الخدم ؟

فأجاب وقد وجد في هذا السؤال مخرجاً مما اعتراه :

– هذا اقتراح طريف ، وكان في نيتي أن اعرضه عليك .

– بالطبع ان رجال البوليس قد فتشوا جوانبها تفتيشاً دقيقاً .

– البوليس ، إنهم قوم جامدو الرؤوس ، ماذا تراهم يلتمسون في غرفة أرليس ؟ سيلتمسون الدليل على إدانته ، أما نحن فسوف نلتمس الدليل على براءته ، وشتان بيننا وبينهم .

– أراك شديد الاقتناع ببراءة أرليس ؟

– لذا صح ما نذهب اليه في حادث بالجتون ، فلا بدّ أن يكون بريئاً .

ولما دخلا إلى غرفة أرليس لم يقع نظرهما لأول وهلة على ما يملأ النفس أملاً في الحصول على أدلة ..

فقد كانت الثياب في الأدراج ، وفي دولاب الملابس مرتبة بعناية تامة ..

وكانت جميعاً ، من صنع خائطين مشهورين ، مما يدل على أنها قد منحت اليه أثناء تقلبه في مختلف مراتب الخدمة ، وكذلك كانت الأحذية نظيفة ومرتبة في مواضعها الخاصة .

وتناول سوتر أحد هذه الأحذية فألفاه من نوع جيد ..

ولما لم يكن في هذه القضية آثار أقدام ، فرأى أنها لن تجـــدي شيئاً .

ولما تفقدا الرداء الخاص الذي يرتديه ارليس أثنـــاء العمل لم يجداه ، فاتضح لهما من غيابه أنه فر مرتدياً هذا الرداء .

وقال كارترايت :

– من الجلي إن أي إنسان في تمام وعيه يخلع هذا الرداء ويلبس ثيابه العادية حين يقدم على الفرار ..

فأجاب سوتر :

– هو ما تقول ، وهذه ظاهرة غريبة ، تكاد تؤكد أنه لم يفر على الاطلاق .

وتابعا تنقيبهما في جوانب الغرفة ..

فلم يهتديا إلى شيء من الرسائل أو الصحف ، فيما عدا قصاصة من إحدى الجرائد بها إعلان عن دواء (للكالو) ونبذة تشير إلى قرب زواج إبنــة أحد الدوقات .

وشاهدا مجموعة صغيرة من ورق (النشاف) ومحبرة صغـيرة بغير قلم فوق منضدة جانبية .

وتناول سير شارلس (ورق النشاف) ورفعه امـام المرآة ، ولكن بغير جدوى .

وكانت إحدى صفحات هذا الورق مختلطة المعـالم لطول الاستعمال ، ومدادها قديم العهد .

وقال سوتر :

– إما انه لم يكتب رسائل على الاطلاق طيلة وجوده هنـا ، أو انه لم يكن يجفف رسائله ، هذه (نشافة) قديمة ، آه أنظر ..

وأشار في شيء من الارتياح إلى حرفين باديين بوضوح بين آثار الكتابة القديمة المختلطة هما (ل. بيكر) .

وأردف قائلا :

- في وسعي أن أقرر إن ارليس لم يستخدم هذه (النشافة) البتة .

وشرعا يبحثان في أرض الغرفة ، فرفعا البساط وفتشا تحت السرير .. لكنهما لم يهتديا إلى شيء سوى بقعة من المداد قرب الموقد ، وفيما عدا هذا ، كانت الغرفة خاوية خواء يبعث على القنوط .

وغادرا الغرفة في شيء من المضض والاستياء وقد فترت حماستهما

وتبادلا بضع أسئلة موجزة مع سائر الخادمات ، بيد أنهما لم يتقدما تقدماً يذكر .

ولذلك استأذنا وانصرفا .

* * *

وكان سوتر قد أمر سائق سيارته ان ينتظرهما بالباب .

وقال كارترايت وهما يسيران في الحديقة المنبسطة متجهين اليها :

- ألم يخطر لك شيء ما ؟

رأى سوتر ان البيانات التي وقفا عليها ضئيلة جداً ، لا تشير بشيء ، وهي كما لخصها كارترايت تشير إلى ان الآنسة ويلز كانت تتطفل وتتدخل فيما لا يعنيها ، وإن الآنسة ستكليف كانت شديدة التأثر ، وان مدام ديكرس لم تبد أدنى تأثر ، وإن الكابتن ديكرس قد شرب حتى ثمل .

وليس لكل هذا دلالة خاصة ، إلا ان يكون إسراف ديكرس في الشراب ، قصد به إخماد صوت الضمير المثقل بالجريمة .

لكن سوتر كان يعلم أن فريدي ديكرس يشرب حتى الثمل في أغلب الأحوال .

وما لبث أن قال مكرهاً رداً على سؤال كارترايت :

– لا شيء ، إلا إذا استخلصنا من اسم الدواء الذي شاهدناه أن أرليس يشكو من (الكاللو) .

فابتسم ابتسامة مقتصبة وقال :

– هذا استنتاج معقول ، ولكن أتراه يفضي بنا إلى الأمام ؟

فأجاب سوتر بالنفي ..

وأضاف إلى ذلك قوله :

– إن الملاحظة الوحيدة ..

– تكلم يا صاحبي ، فأية ملاحظة قد تهدينا في بحثنا .

– إنني عجبت في الواقع مما قررته الخادمة عن ممازحة السير برثلوميو لرئيس الخدم ، ويبدو لنا أن هذه ظاهرة شاذة من بعض الوجوه ؟

فقال كارترايت في حماسة :

– نعم .. هذه ظاهرة شاذة ، لقد أتيح لي أن أعرف توالي خيراً مما أتيح لك ، وفي وسعي أن أقرر أنه لم يكن من ذلك الطراز الذي يمزح مع الخدم وهو لا يتكلم في حياته كلها على هذا النحو ، إلا إذا طرأ عليه في تلك المناسبة طارىء بدل أطواره تبديلا .. أصبت يا عزيزي ، فهذه مسألة جديرة بالبحث والتمحيص ، ولكن إلى أين تفضي بنا ؟

كان جلياً من لهجة السير كارترايت أنه يريد ان يفضي برأيه في هذا الصدد ..

فأصغى اليه سوتر وسمعه يقول :

– لعلك تذكر المناسبة التي وقع فيها هذا الحادث يا عزيزي . لقد وقع عقب تبليغ أرليس فحوى المخابرة التليفونية إلى السير برثلوميو ، وفي

مقدورنا أن نستخلص في اطمئنان ان هذه المخابرة هي السبب فيما طرأ على السير برثلوميو من مرح فجائي غير مألوف .. ولعلك تذكر كذلك إني سألت الخادمة عن فحوى هذه المخابرة ..

فأومأ سوتر برأسه إيجاباً وقال :

– كانت تتضمن إبلاغه أن سيدة تدعى مدام دي شبريدجر قد وصلت إلى المصحة ، وليس في هذا النبأ ما يثير شيئاً غير عادي .

– هو ما تقول . لكن إذا صح استنتاجنا ، فلا بد أن لهذه المخابرة مغزى خاصاً !

فقال سوتر في ارتياب :

– محتمل !

فرد كارترايت :

– بل لا ريب في ذلك . وعلينا أن نبحث عن هذا المغزى ، ويبدو لي أنه لا يبعد أن يكون دلالة رمزية تصاغ في أسلوب طبيعي .. ولكن يراد بها شيء غير مدلولها .

وإذا صح أن تولي قد أخذ على عاتقه أن يتحرى في ظروف وفاة بابنجتون ، فقد يكون لتلك المخابرة اتصال بهذه التحريات ..

لنفرض أنه عهد إلى أحد رجال البوليس السري الخاص أن يبحث في نقطة معينة يشتبه فيها ، فلا يبعد في تلك الحالة أن يتفق معه .. إذا ثبت له صحة المسائل التي تثير اشتباهه ، على أن يتصل به تليفونياً وأن يبلغه تلك العبارة التي لا تؤدي بسامعها إلى الوقوف على شيء من الحقيقة .

فإذا صح ذلك ، فإنه يفسر لنا ما طرأ عليه من المرح والتبسط ، ويفسر لنا السبب في سؤال أرليس إن كان متأكداً من صحة الاسم ، وهو يعلم علم اليقين انه لا يوجد مثل ذلك الاسم على الاطلاق ..

- هل تعني أنه لا توجد سيدة تدعى مدام دي رشبربدجر ؟

- مهما يكن من شيء، فيحسن بنا ان نفحص هذه المسألة ؟

فسأله :

- وكيف نفعل ذلك ؟

فرد كارترايت :

- في مقدورنا ان نذهب الآن إلى المصحة ، وأن نقوم بسؤال رئيسة الممرضات ..

- قد يبدو لها ذلك الاجراء شاذاً

فضحك السير كارترايت وقال :

- دع تلك المسألة لي ، فسوف أسويها بنفسي .

وانعطفا في طريق السيارات وأخذا يسيران في اتجاه المصحة . وقال سوتر أثناء سيرهما :

- ما رأيك أنت يا كارترايت ؟ ألم تستخلص شيئاً من زيارتنـــا المنزل ؟

فأجاب متنداً :

- نعم . لقد خطر لي خاطر معين .. على أن الشيطان قد أنسانيه .

فتطلع اليه سوتر دهشاً ..

فعبس كارترايث وأكمل قائلاً :

- كيف أفصح عن غرضي ؟ نعم هناك مسألة معينة خطر لي أنهـا في وضع غير طبيعي .. ولكن لم يتح لي وقت للتفكير فيها في حينها ، ولذلك أرجأتها إلى ما بعد .

- والآن ألا تستطيع أن تقول ما هي ؟

- كلا . ولا أذكر إلا أنني قلت لنفسي في تلك اللحظة :

« هذا عجيب » !

- هل كان ذلك حين كنا نستجوب الخادمات .. من منهن ؟

- الحق اني لا أستطيع ان أذكر ، وكلما اجهدت ذاكرتي خانني التفكير ، على اني إذا تركتها وشأنها ، فقد تعود من تلقاء نفسها ..

* * *

ولما وصلا إلى المصحة قرعا الجرس وطلبا مقابلة رئيسة الممرضات ، فأقبلت عليهما امرأة طويلة القامة متوسطة العمر بادية الذكاء ، واتضح انها تعرف من اسم السير شارلس انه كان صديقاً للسير برثلوميو .

قال لها : انه جاء من خارج انجلترا منذ قليل .. فصعق حينما نمى اليه نبأ الكارثة التي حلت بصديقه ، وسمع بتلك الشبهات التي قامت لدى رجال البوليس ..

وبادر من فوره بالذهاب إلى منزل الفقيد للوقوف على ما يمكنه من البيانات .

ولما ذكرت رئيسة الممرضات انهم فجعوا في شخص السير برثلوميو وفقدوا في شخصه طبيباً بارعاً .

فسألها عما سيؤول اليه امر المصحة .

فقالت : ان له شريكين في المصحة وكلاهما طبيب كفء ، وان احدهما يقيم فيها ..

وقال كارترايت :

- اني أعرف ان برثلوميو كان يفخر بالمصحة !

- نعم .. وكان موفقاً توفيقاً تاماً في معالجة مرضاه

- اعتقد ان معظمهم مصابون بأمراض عصبية ؟

- نعم ..

- انه يذكرني بشخص قابلته في مونت كارلو وقال لي أن له قريبة سوف تأتي إلى المصحة .. إني نسيت إسمها الآن ، فهو اسم غريب أظنه (رشبربدجر) أو (رشبريجر) ، أو شيئاً من هذا القبيل .

- لعلك تعني مدام دي رشبريدجر ؟

- هو ذاك .. أهي هنا الآن ؟

- نعم . لكني أخشى أنه لن يتاح لك أن تقابلها لمدة أخرى ، فقد تقرر لها علاج دقيق تستريح فيه راحة تامة ، وحظر علينا أن نوافيها بأية رسائل ، أو نسمح لها بمقابلة الزائرين .

- هل حالتها خطيرة إلى هذا الحد ؟

- إن أعصابها منهارة تماماً .. وهي مصابة بفقدان الذاكرة والخطاط عصي خطير .. ولكني أعتقد أننـــا سنعيدها إلى حالها في الوقت المناسب .

- يخيل الي إنني سمعت صديقي السير برثلوميو يتحدث عنها .. فقد كانت من بين صديقاته ، فوق صلة المعالجة التي تجمعهما . اليس كذلك ؟

- لا أظن ذلك . وعلى الأقل لم يذكر لي الدكتور شيئاً من هـذا القبيل . وهي قد قدمت حديثاً من الهند الغربية ، وقدومها من هناك وليد الصدفة المحضة !

- وهل جاء زوجها ايضاً ؟

- بل مايزال باقياً هناك .

- آه . لا بد أني قد خلطت بينها وبين سيدة اخرى ، أحسب أن الدكتور كان مهتماً بمسألتها اهتماماً خاصاً .

- إن تلك الأعراض ، مع شيوعها ، تدعو إلى اهتمام رجال الطب ، فقلما تتشابه حالتان منها .

وشكرها السير شارلس واستأذنا للانصراف ..

ثم مشيا إلى حيث كانت السيارة تنتظرهما ..

واستقلا السيارة ، فانطلقت بهما !

واستغرق سوتر في أفكاره .. فرأى أن نظرية كارترايت في صدد اسم مدام دي رشبريدجر لم تتماسك ولم تطابق الواقع ، وانه ليس وراءهـا رسالة رمزية كما ظن ، فقد ثبت إن هذا الاسم تتسمى به السيدة لهـا وجود حقيقي .

لكن أيمكن أن يكون ثمة دور خاص لهذه السيدة نفسها ؟

هل هي شاهدة من نوع ما ..

أو أن ما أبداه برثلوميو من ابتهاج غير مألوف يرجع فقط إلى اهتمامه بطبيعة مرضها ؟

- ١٠ -

وقطع عليه شارلس حبل أفكاره إذ مال اليه وقال يحدثه :

- هل يضيرك يا عزيزي أن نعود من حيث جئنا ؟

وأصدر إلى السائق أمراً بالرجوع دون أن ينتظر الجواب ..

وما هي إلا دقيقة أو نحوها ، حتى كانت السيارة تمضي في وجهة مضادة !

وقال سوتر :

- ماذا جرى ؟

فأجابه

- لقد تذكرت الآن ما نسيته وكان موضع عجبي . إنه بقعة المداد التي رأيناها في غرفة رئيس الخدم .

فتطلع إلى صديقه في دهشة قائلاً :

- بقعة المداد ؟ وماذا تعني يا كارترايت ؟

- أتذكرها ؟

- نعم ، اذكر أننا رأينا بقعة من المداد !

- أتذكر موضعها ؟

- إلى حد ما

- هي في موضع قريب من الموقد

– أصبت .. وقد تذكرت الآن !

– ما رأيك في كيفية حدوث هذه البقعة يا عزيزي ؟

فأخلد سوتر إلى التفكير هنيهة .

ثم قال :

– إنها ليست بالبقعة الكبيرة ، ولا يمكن أن تكون قد نجمت عن انقلاب محبرة .. وأكبر الظن أن قلماً من (الأبنوس) قد وقع من يد الرجل في ذلك الموضع ، إذ لا تنس اننا لم نشاهد قلم الحبر العادي في المحبرة .. ويتضح من ذلك ، ان الرجل كان يحمل قلماً من (الأبنوس) وإن لم يقم دليل على أنه كتب شيئاً ..

فقال شارلس :

– بل ان وجود البقعة هو الدليل على قيامه بالكتابة .

– يحتمل انه لم يكن يكتب ، ولا يبعد ان يكون القلم قد وقع منه فوق الأرض فحسب .

– لكن لا يمكن ان تحدث البقعة الا اذا كان غطاء القلم منزوعاً .

– اصبت .. لكن لا ارى في ذلك ما يدعو للعجب .

– ربما .. فإنني لا أقدر ان اجزم بشيء قبل ان التحقق بنفسي .

ووصلا الى منزل الطبيب بضع دقائق .

وزعم شارلس انه نسي قلمه في غرفة رئيس الخدم .

واستطاع بلباقة ان يتخلص من مدام ليكي .

وما كادا يخلوان الى نفسيهما حتى اغلق السير شارلس الباب وقال :

– والآن فلننظر اذا كنت اعلل نفسي بآمال كاذبة ، او ان هناك شيئاً حقاً

وجلس سوتر على حافة الفراش ، وقد صمت عن ابداء رأيه احتراماً لسير شارلس .

بينما قال وهو يشير إلى بقعة المداد بقدمه

– هذه هي البقعة في طرف الغرفة المواجهة لمنضدة الكتابة ، فما هي الظروف التي يلقي فيها المرء بالقلم في مثل هذا الوضع ؟

– في مقدور الانسان ان يلقي بالقلم حيث يشاء .

فقال كارترايت :

– بالطبع يمكن القاؤه في اي مكان بالغرفة . لكن ليس من المألوف ان يتصرف الانسان على هذا النحو في قلم يملكه ، على انه لا يبعد ان يكون قد استعصى على ارليس الكتابة به ، فألقى به مغضباً في الغرفة .

وقال سوتر :

– هناك طائفة من التعليلات ، فلا يبعد انه وضعه فوق رف الموقد فسقط عفواً .

فأخرج كارترايت من جيبه قلماً وقام بتجربته ، فجعله يسقط من فوق رف الموقد ، فانحدر القلم ومس الأرض على بعد نحو قدم من البقعة وتدحرج إلى ناحية الموقد

وقال سوتر :

– ماذا بعد ؟ ما هو تعليلك ؟

– انني احاول ان اهتدي الى تعليل ..

وراح شارلس يلقي بالقلم في اوضاع مختلفة ، دون ان يهتدي الى ما ينشده .

وفجأة خطر له رأي وتمثل نفسه ارليس رئيس الخدم ، فجلس الى المنضدة كأنما يكتب ، وهو يرفع رأسه بين وقت وآخر ، ويتطلع حواليه محاذراً .

وكأنما وصل الى سمعه صوت اقدام تقترب صادراً من الردهة ، ولما كان ضمير الرجل مثقلاً بالجريمة ، فقد فطن الى معنى خاص وراء صوت

الأقدام . ولذلك وثب قائماً وقد أمسك في إحدى يديه بالورقة التي كان يكتب فيها ، وفي الأخرى قلمه ..

وما لبث أن أسرع إلى ناحية الموقد ، وهو يلتفت برأسه محاذراً وراح ينصت في خوف واضطراب .

ولقد حاول أن يدس الورقة خلف الموقد الغازي ، وإذ أراد أن يستخدم لهذا الغرض كلتا يديه فقد ألقى بالقلم في تبرم .

فسقط القلم من يده فوق بقعة المداد .

لم يتمالك سوتران هتف معجباً :

– مرحى يا صديقي ..

والحق أن السير شارلس أتقن تمثيل الموقف ..

حتى أنه لا يمكن أن يتسرب الشك إلى نفس الناظر في سقوط القلم من يد ارليس على هذا النحو

وقال كارترايت :

– أرأيت ؟ إذا كان ذلك الرجل قد سمع صوت رجال البوليس ، أو من خالهم كذلك قادمين إلى ناحيته ، وأراد أن يخفي ما كان يكتب ، فأين يخفيه ؟ إنه لا يلجأ إلى احد الأدراج ، إذ لا بد ان يهتدي رجال البوليس إلى ذاك المخبأ إذا خطر لهم تفتيش الغرفة ، فلم يكن امامه اذن إلا موضع واحد خلف الموقد الغازي .

– الخطوة التالية اذن . هي التفتيش خلف الموقد للاهتداء الى ما أخفى !

– هو ما تقول . نعم قد يمكن ان يكون خوفه على غير أساس ولذلك عاد فاسترجع ما اخفاه علي اننا نأمل ان توفق الى شيء .

ونزع شارلس سترته وشمر عن ساعديه ..

ثم ركع فوق الأرض وأخذ يتطلع بعينيه في الفراغ الكائن تحت الموقد

الغازي ..

وقال آخر الأمر :

- هناك شيء ما أبيض اللون .. كيف يمكن أن نجذبه ؟ لا بد لنا من مشبك شعر ..

فقال سوتر:

- جرب استخدام المطواة ..

لكن هذه التجربة لم تسفر عن نجاح .

وخرج سوتر وأتى بابرة طويلة من بياتريس ..

وقد اثار هذا التصرف عجبها ، بيد أنها لم تجرؤ على الاستفسار ..

وأفلح كارترايت في محاولته ، وأخرج من تحت الموقد طائفة من الأوراق يدل مظهرها على أنها قد عصرت عصراً ، ودفعت دفعاً قوياً .

وراح شارلس وسوتر يبسطان الأوراق وقد تضاعف اهتمامها .. فاتضح لهما أنها مسودات مختلفة لرسالة واحدة ، سطرت جميعاً بخط صغير جيد .

وتضمنت المسودة الأولى ما يلي :

« ليس في نية كاتب هذه الرسالة أن يثير متاعب ، وقد يجوز أنه أخطأ فيما خيل اليه أنه شاهده هذه الليلة .. لكن »

ويبدو أن الكاتب لم يرض عن هذا الأسلوب ، فعدل عن اكمال العبارة واستأنف الكتابة من جديد :

« يقدم جون ارليس رئيس الخدم أزكى تحياته ، ويسره ان يظفر بزيارة قصيرة تتصل بموضوع المأساة التي وقعت هذه الليلة ، قبل أن يذهب الى رجال البوليس ويطلعهم على ما لديه من البيانات .. »

وللمرة الثانية ، لم يرض الرجل عن ذلك الأسلوب ..

وعاود الكتابة مرة ثالثة ..

« ان جون ارليس رئيس الخدم يعرف معلومات معينة خاصة بوفاة الطبيب وهو لم يقم حتى الآن باطلاع رجال البوليس على هذه المعلومات »

وفي المسودة التالية تكلم صاحب الرسالة عن نفسه بصراحة .. فقال :

« انني في اشد الحاجة الى المال .. وأعتقد أن الف جنيه تكفيني .. انني أعرف معلومات معينه في وسعي ان افضي بها الى رجال البوليس ، لكني لا احب ان أثير المتاعب .. »

ثم تكلم في المسودة الأخيرة بصراحة تامة فقال :

« انني اعرف كيف توفي الدكتور .. ولكني لم افض بشيء الى رجال البوليس حتى الآن .. واذا جرت معي مقابلة .. »

على ان الرسالة انتهت على نحو يغاير ما سبقه .

فقد بدا الاضطراب في تسطير كلماتها الأخيرة ، مما يدل بجلاء على ان ارليس سمع في تلك اللحظة ما أثار مخاوفه وقلقه .. ولذلك فرك الصفحات بيده وهرع لاخفائها ..

وقال سوزر وهو ينبعث من فمه زفيراً عميقاً :

- أهنئك يا كارترايت . فقد وفقت فيما ألهمتك اليه غريزتك بشأن بقعة المداد .. والآن لنلق نظرة على موقفنا في ضوء هذا الاكتشاف الجديد ..

وصمت قليلاً ..

ثم استطرد قائلاً :

- ان ارليس رجل شرير كما رأينا من قبل .. ولكنه ليس القاتل ، وقد عرف شخصية القاتل الحقيقي ، وشرع بعد العدة لتهديده وابتزاز المال منه ، سواء كان القاتل رجلاً او امرأة .

فقاطعه شارلس قائلاً :

– من دواعي الأسف اننا لا نستطيع أن نجزم بأن القاتل رجل أو امرأة . لست أدري لماذا لم يبدأ ذلك الخبيث إحدى مسودات الرسالة بكلمة (سيدي) أو سيدتي) حتى كان يتاح لنا أن نعرف هوية القاتل .. يلوح لي أن أرليس رجل بارع شديد الدهـــاء ، فقد راح يجهد نفسه في إنشاء الرسالة ويبدي منتهى الحذر والحيطة . وليته ترك في رسالة أثراً ما يرشد إلى شخصية المرسل اليه ..

فقال سوتر :

– لا بأس . فنحن مع ذلك نتقدم باطراد .. ولعلك تذكر أنك قررت أن ما ننشده في هذه الغرفة هو الدليل على براءة ارليس وها نحن اولاً قد وفقنا إلى هذا الدليل .

وهذه الرسائل المتشابهة تدلنا على براءته – من جريمة القتل على الأقل – وأما فيما عدا هذا فهو مجرم من الطراز الأول ، لكنه لم يدنس يديه باغتيال حياة السير برثلوميو سترينج .. وإنما اقترف هذه الجريمة شخص آخر ، وهو نفس الشخص الذي اغتال بابنجتون من قبله ، واحسب أنه يحسن اطلاع رجال البوليس على هذا الذي وفقنا اليه .

فقال كارترايت في شيء من الاستياء :

– هل في نيتك أن تطلع رجال البوليس على هذا الاكتشاف الجديد ؟

– أرى أن لا مفر لنا من ذلك ، لم هذا السؤال ؟

فجلس على حافة الفراش وراح يقول :

– اعلم أننا نعرف في الوقت الحالي شيئاً لا يعرفه سوانا ، ان رجـــال البوليس يفتشون عن ارليس ، وكل إنسان يعلم انهم يعتقدون بأنه الجاني ، والنتيجة الطبيعية لذلك هي ان الجاني الحقيقي يشعر الآن بشيء من الطمأنينة من هذه الناحية ..

أفليس مما يؤسف له أن نسعى لقلب هذا الوضع بأيدينا ؟ أفليست هذه هي الفرصة التي يتعين علينا انتهازها ؟ وهذه الفرصة في السعي لمعرفة الصلة بين بانجتون وبين أولئك الأشخاص الذين نسعى لتحديد الجاني من بينهم ، والذين لا يعرفون أن هناك أحداً يفكر في وجود اي اتصال بين هذه الوفاة وبين وفاة بانجتون ؟ نعم إنهم سيأمنون جانبنا ، وهي فرصة فريدة قد لا يعرض لنا مثلها .

فقال سوثر :

– إني أدرك ما ترمي اليه ، واسلم معك به ، نعم إنها فرصة فريدة . لكني لا أحسب أنه يخلق بنا انتهازها وحدنا ، والواجب الاجتماعي يحتم علينا أن نطلع رجال البوليس فوراً على هذا الاكتشاف الذي وفقنا اليه ، ولا حق لنا في الاحتفاظ به دونهم .

فرمقه شارلس بنظرة ذات معنى وقال :

– انت عنوان الفضيلة يا عزيزي ، ولست أرتاب لحظة في أن الواجب يجب بنا بأن ننزل على حكمه ، لكنني لا أتمسك بمثل ما تتمسك به من المثل ، ولا أرى غضاضة في الاحتفاظ لنفسي بهذا الاكتشاف يوما أو يومين فقط ؟ كلا ؟ حسناً . إني انزل على رأيك . فلنكن إذن عنوان الفضيلة والرضوخ للقانون .

– في وسعك أن ترى ان جونسون صديقي ، وانه لم يتأخر لحظة واحدة في اطلاعنا على كل ما يعلمه رجال البوليس .

فأجابه وهو يتنهد :

– أصبت . لكني مع ذلك أجاهر لك بأني وحدي قد خطر لي أن القي نظرة تحت الموقد الغازي ، ولم تخطر هذه الفكرة قط لأحد من رجال البوليس ، لكن ليكن ما تشاء . قل يا عزيزي ، أين يمكن ان يكون أرليس الآن ؟

فأجاب سوتر :

- أعتقد انه قد ظفر بما كان يريد ، لقد تلقى ثمن اختفـائه وقد اختفى بنجاح .

فقال شارلس :

- نعم . احسب ان هذا هو التحليل الوحيد لاختفائه .

ومرت في جسده رعشة يسيرة وهو يقول :

- انني لا أستريح إلى البقـــاء في هذه الغرفة ، يا صديقي فلنخرج منها .

قابل كارترايت وصديقه سوتر الكولونيل جونسون والمفتش كروسفيلد مقابلة قصيرة ، واطلعاهما على الاكتشاف الذي توصلا اليه ، وعلى الظروف التي ادت إلى ذلك الاكتشاف .

فأعلن اليهما الكولونيل جونسون على الفور عزمه على الاتصال ببوليس لوموث والتنبيه بوجوب إعادة البحث في ظروف وفاة ستيفن بانجتون .

وقال السير شارلس لصديقه سوتر حينما كانت السيارة تنهب بهما الطريق إلى لندن :

- إذا ثبتت وفاة بانجتون مسمماً بالنيكوتين ، فإن كروسفيلد سيقتنع بأن ثمة اتصالاً بين الحادثين .

على انه مع ذلك كان يشعر بشيء من المضض لاضطراره لاطلاع رجال البوليس على ما وفق اليه ..

لكن سوتر طمأنه بأن هذه المعلومات لن تذاع في الصحف ، ولن يعلم بها احد من افراد الجمهور ..

وأردف قائلاً :

- ولذلك لن يرتاب الجاني في شيء ، وسوف يستمر البحث عن أرليس !.

وقرر السير شارلس لصاحبه انه يعتزم ان يتصل بالآنسة ايج ليتون جور على اثر وصولها إلى لندن .

ولما كانت رسالتها اليه قد صدرت من مكان معين في (ميدان بلجريف) ، فهو يأمل ان تكون باقية بعد هناك !

ولقد وافق سوتر على ذلك الرأي ، فقد كان هو كذلك يود من كل قلبه ان يقابل إيج .

واتفقا على ان يتصل بها السير شارلس تليفونيا على اثر وصولهما إلى لندن .

وتبين اخيراً ان ايج ما تزال باقية في لندن ، فقد نزلت وامها ضيفتين على اقرباء لهما في العاصمة .

ولم يكن في نيتها العودة إلى لوموث قبل اسبوع . فلم يجدا مشقة في دعوتها إلى العشاء معهما في مطعم (بيركلي) .

ولاحظ سوتر حينما اجتمعا بالفتاة انه قد بدت عليها آثار النحول والذبول ..

لكنها مع ذلك لم تزل تحتفظ بحيويتها وسحرها ..

وقالت الفتاة موجهة حديثها إلى السير شارلس :

– كنت اعلم انك ستأتي .. والآن وقد اتيت ، فسوف يكون كل شيء على ما يرام .

ولم يفت سوتر ان يدرك غرابة الموقف ..

فقد كان يعلم علم اليقين ان السير شارلس يحب الفتاة حبا جما ، وان ايج تبادله ذلك الحب .

وكانت الصلة التي تجمع بينهما ، ويتشبث بها كلاهما ايما تشبث ، هي جناية مزدوجة من طراز شاذ ..

فلم يتبادلوا حديثاً ذا شأن أثناء الطعام ، فقد راح كارترايت يسرد

طرفاً مما وقع له في رحلته بالخارج

وتكلمت إيج عن شؤون لوموث وأحوال اهليها ، وتكفل سوتر بوصل الحديث بينهما كلما فتر

وما أن فرغوا من العشاء حتى انتقل ثلاثتهم إلى منزل سوتر .

ولم تلق ايج نظرة على ما احتواه هذا المنزل من فاخر الرياش وثمين التحف ..

بل طرحت معطفها فوق أحد المقاعد وقالت :

- والآن .. قصا علي كل شيء .

وأنصتت بعناية إلى السير شارلس وهو يقص عليها كل ما صادفهما في يوركشير !

ولم تتمالك أن راحت تلهث حينما سرد عليها نبأ اكتشاف رسائل التهديد .

وختم آخر الأمر حديثه قائلاً :

- ولا نستطيع إلا أن نستنتج ما حدث بعد ذلك ، واكبر الظن أن أرليس قبض ثمن صمته ومهدت له سبل الفرار ..

ولكن إيج هزت رأسها وقالت :

- آه .. كلا .. ألا يمكنك أن تفهم ؟. ان أرليس قد لقي حتفه ..

فأجفل الرجلان ..

بيد أن إيج راحت تؤكد كلامها :

- نعم . لا ريب أنه لقي حتفه ، وهذا هو السر في اختفائه اختفاء تاما ، حتى لم يوفق أحد الوقوف على أثر له ، فقد كان يعرف أشياء كثيرة ، ومن أجل هذا قتل ، إن أرليس هو الضحية الثالثة .

لم يتمالك شارلس وصاحبه من أن يقررا أن هذا الاحتمال قد لا يبعد

عن الصواب ..

رغم أنه لم يخطر لهما من قبل ولم يفكرا فيه

على أن كارترايت قال على سبيل الجدل :

– أصغي إلي يا فتاتي العزيزة .. جميل أن تقرري أن أرليس قد مات قتلا . لكن أين جثته ؟

فقالت إبج :

– لا أدري أين توجد الجثة .. لكن هناك أماكن متعددة يمكن أن توجد بها !

فغمغم سوتر قائلا .

– هذه مسألة عسيرة .

فأصرت إبج على رأيها :

– نعم إن الأماكن متعددة .. فهناك مثلا تلك الغرف الصغيرة الكائنة فوق سقوف المنازل ، وهي أمكنة مهجورة لا يطرقها أحد ، واكبر الظن ان الجثة مخبأة داخل حقيبة ملقاة في الغرفة العليا .

فقال كارترايت :

– قد يجوز ما تقولين . وقد يفوت الناس أن يفطنوا اليها . وقتاً ما !

لم تكن ابج بالفتاة التي تجامل في حديثها ، ولقد فطنت إلى ما يعنيه كارترايت ولذا بادرته قائلة :

– إن رائحة التعفن تنتشر إلى أعلا ، لا إلى أسفل والعثور على الجثة المتعفنة في قبو تحت الأرض أيسر منه في الغرفة العليا ، ومهما يكن من شيء ، فإذا فطن احد إلى هذه الرائحة فسوف يعزوها لبعض لوقت الى وجود فأر ميت ..

ا

اذا صحت نظريتك ، فإنها تشير بشكل قاطع الى أن القاتل

رجل ، اذ لا يتيسر للمرأة ان تحمل الجثة الى أعـلا المنزل ، والحق ان هذه المهمة تشق على الرجل ، فضلا عن المرأة .

- هناك احتمالات اخرى ، واكبر الظن انكما لا تعلمان ان بالمنزل ممراً سرياً ، فقد اطلعتني الانسة ستكليف على هذه الحقيقة ، كما وعدني سير برثلوميو بأن يرشدني الى مكانه ..

ولا يبعد ان يكون القاتل قد زود ارليس بما يطلب من النقود ، ثم ارشده الى طريق الخروج من المنزل ، ورافقه في داخل الممر ثم قتله ، وفي وسع امرأة ان تؤدي هذه المهمة .. وفي استطاعتها ان تطعنه بمدية ، او تغتاله على وجه ما من الخلف ..

ولا يعوقها عائق عن ترك الجثة حيث هي ، والرجوع الى المنزل دون ان يفطن احد الى الحقيقة .

فهز سير شارلس رأسه في ارتياب ، بيد انه لم يتقدم لتفنيـــد رأي الفتاة ..

كان سوتر يعلم ان هذا الرأي قد خطر له لحظة حينما وجد الرسالة ذات الصور المتعددة في غرفة ارليس ..

فقال لنفسه

« اذا كان ارليس قد قتل حقاً ، فمعنى هذا اننا ازاء رجل شديد الخطر عظيم الأذى » .

وشعر فجأة بقشعريرة باردة تمر بجسده .

ولا ريب ان المخلوق الذي يقتل ثلاثة اشخاص ان يحجم عن القتـل مرة اخرى !

اذن لقد اصبح شارلس وايج وهو في خطر شديد .

لا شك انهم وفقوا الى اكثر مما ينبغي ..

وقطع عليه حبل تصوراته كارترايت وهو يقول :

- هناك مسألة واحدة في رسالتك لم استطع فهمها يا ايج .. فقد نوهت بأن اوليفر ماندرز في خطر ، وان رجال البوليس يرتابون في امره ، ولا استطيع في الحق ان ارى كيف يمكن ان يساورهم الشك في شخصه .

وهنا خيل الى سوتر ان ايج قد شعرت باضطراب يسير ، وان وجهها تورد قليلا .

وقالت الفتاة آخر الأمر :

- لقد كانت هذه الاشارة حماقة مني .. والحق انني ارتبكت ، فلم ادر كيف اتصرف .. فقد خيل اليّ أن رجال البوليس لا محالة مرتابون في أوليفر ماندرز ، بسبب قدومه على ذلك النحو المفاجيء ، وبعذر قد يبدو مصطنعاً ..

فلم يتردد شارلس في الاقتناع بهذا التفسير ..

وقال من فوره :

- أجل فهمت ..

وقال سوتر :

- أهو عذر مصطنع ؟

فانثنت اليه ايج قائلة :

- ماذا تعني ؟

فأجاب سوتر :

- الحق انها حادثة من لون غريب ، وقد خيل اليّ أنه اذا كان قد افتعلها ، فلن يتعذر عليك ان تفطني الى ذلك !

فهزت ايج رأسها وقالت :

- لا أدري .. والحق انني لم افكر في هذا الموضوع .. ولكن ما الذي يحمل أوليفر الى افتعال هذه الحادثة اذا لم تكن

قد وقعت حقاً ..

فقال شارلس وهو يبتسم في وجهها :

– قد تكون لديه أسباب خاصة تحمله على ذلك .

فقالت إيج وقد تضرج وجهها بحمرة الخجل :

– آه .. كلا .. كلا ..

فتنهد شارلس ولاحت عليه دلائل الاكتئاب .

ثم قال :

– إذا لم يكن ثمة خطر يهدد صديقنا الشاب ، فلم أقحم نفسي ؟

فنهضت إيج من مقعدها وأسرعت اليه وأمسكت بذراعه ..

وقالت :

– ما أخالك تعود من حيث جئت ؟. ما أخالك تعتزم أن تتخلى عن هذه المهمة ؟ ولا ريب أنك ستتولى كشف الحقيقة ، ولا أعتقد أن ثمة من يستطيع الاطلاع بها سواك . نعم في وسعك أن تفعل ذلك وسوف تفعلـه .

كانت الفتاة تتكلم بحمية واخلاص ، فقال سير شارلس وقد تأثر مما بدا منها :

– أتثقين بي ؟

– نعم .. نعم . نعم . إننا سنقوم بالبحث عن الحقيقـة . أنت وأنا معاً ..

– وسوتر !

فقالت إيج في شيء من الفتور :

– بالطبع وسوتر كذلك !

وجلس شارلس وقد بدت عليه آيات العزم وقال :

– يجدر بنا أول الأمر أن نحدد الموقف بوضوح تام .. فهل نحن نعتقد

أن شخصاً واحداً قتل بانجتون وبرثلوميو ستربنج ؟

فأجابت إيج وسوتر معاً :

- نعم . .

- وهل نعتقد أن الجريمة قد تفرعت من الأولى ؟ وبعبارة أخرى هل نعتقد أن برثلوميو قد قتل حتى لا يقوم بإماطة اللثام عن سر الجريمة الأولى ، أو بالافصاح عن ارتيابه في صددها ؟

فأجابت إيج وسوتر للمرة الثانية :

- نعم . .

- إذن فواجبنا أن نبحث موضوع الجريمة الأولى ، لا الثانية .

فأومأت إيج برأسها إيجاباً .

واستطرد كارترايت قائلاً :

- في رأيي أنه لن يتاح لنا الاهتداء إلى القاتل ، قبل أن نكشف عن سبب الجريمـــة الأولى . والحق أن دون الوصول إلى هذا السبب عقبات كأداء ، فقد كان بانجتون كهلاً مسالماً وديعاً لطيف المعشر ، لا يمكن أن يوجد في الدنيا عدو له ، على أنه مع ذلك قد قتل ، ولا بد من وجود دافع لقتله ، وعلينا الآن أن نبحث عن هذا الدافع .

وكف هنيهة عن الكلام .

ثم أردف :

- لنبحث عن الدافع ، فما هي الأسباب التي تدعو إلى ارتكاب جريمـة القتل ؟ أعتقد أن أولها هو الفائدة المادية .

وقالت إيج

- والثأر !

وقال سوتر

- وجنون الاجرام . على أن الدافع لا يتفق في هذه الجريمة ، هناك

الخوف كذلك .

كان سير شارلس يسجل هذه الاجابات في ورقة أمامه .. ومـا لبث أن قال .

– فلنناقش هذه الدوافع . ولنتكلم عن الفائدة المادية أولاً . فهل هناك من يفيد مادياً من موت بابجتون ؟ وهل كان بابجتون يملك مالاً ؟ أو كان يتوقع أن يؤول اليه مال ؟

فقالت إيج :

– إنني أستبعد ذلك .

– وقال سوتر :

– وكذلك أنا . لكن يحسن بنـا أن نرجع في هذا الموضوع إلى مدام بابجتون .

فقال شارلس :

– ثم هناك الثأر ، هل وقع اعتداء من بابجتون على أحد من الناس في أيام شبابه مثلاً ؟ أيمكن أن يكون قد تزوج فتاة كان يطمع فيها شاب آخر ؟ علينا أن نستقصي هذه المسألة كذلك .

ثم هناك جنون الاجرام .. أيمكن أن يكون كل من بابجتون وتوللي قد قتلا بيد مجنون متهوس ؟

ما أحسب هذه النظرية تبدو معقولة ، فحتى المتهوس يصدر في إجرامه عن شيء من المنطق . أعني أن المتهوس قد يخيل اليه أنه مبعوث العناية الالهية للقضاء على الأطباء أو رجال الدين مثلاً ، لكنه لا يقضي على أفراد الطائفتين معاً . أعتقد أننـا نستطيع أن نستبعد دافع التهوس .. بقي أمامنا دافع الخوف .

والآن أصارحكم بأن هذا الدافع يظهر أدنى من غيره إلى الصواب ، فلعل بابجتون أن يكون قد عرف شيئاً عن شخص ما ، ولذلك قضى عليه

حتى لا يذيع ما يعلمه .

فقالت إيج وقد قطبت جبينها :

- إن مجال البحث هنا فسيح الأرجاء .. وعلينا أن نبدأ بالتحري عن أحوال الأفراد الذين اجتمعوا في منزلك ليلة الوفاة . فلندون أسماء الذين كانوا في منزلك ، وفي منزل السير برثلوميو .

وتناولت القلم والورقة من يد كارترايت وقالت :

- إن ديكرس وزوجته كانا في كلا المنزلين ، ثم تلك المرأة المدعوة ولز .. ثم ستكليف !

فقال كارترايت :

- يمكنك أن تستبعدي اسم أنجيلا ستكليف فإني اعرفها من زمن طويل .

فعبست إيج وقالت بعناد :

- لن تنفعنا هذه الطريقة ، ولا ينبغي ان تستبعد الأسماء لأننا نعرف أصحابها .. يحسن بنا ان نمارس البحث بطريقة عملية .. وفوق ذلك ، فإني لا اعرف شيئاً عن انجيلا ستكليف هذه .. وفي رأيي انها مثل سواها يمكن ان تكون القاتلة . بل هي اكثر احتمالاً من غيرها . إن كل الممثلات لهن ماض حافل ، اظن ان حظها في الاتهام اكثر من سواها !

ونظرت اليه في تحد ..

فقابل نظراتها بعينين متوهجتين ، وقال :

- في هذه الحالة يحسن بنا الا نستبعد اسم اوليفر ماندرز .

- كيف يمكن ان يكون اوليفر هو القاتل ؟

فرد عليها :

- إنه كان في كلا المكانين ، وجاء في ظروف تحمل إلى الاشتباه .

فقالت إيج :

– بديع .

وكفت هنيهة ثم أردفت :

– في هذه الحالة يحسن بي أن أسجل إسمي وإسم والدتي ، فيجتمع لنا بهذا أسماء ستة من المشتبه فيهم .

– لا أظن !

وقالت إيج وقد توهجت عيناها :

– إما أن نقوم بهذا البحث كما ينبغي ، أو ننفض أيدينا منه .

وهنا حـاول سوتر أن يصلح بينهما ، فقرع الجرس وأمر باحضار الشراب .

ونهض كارترايت من مجلسه وقصد إلى أحد أركان الغرفة وراح يتأمل تمثالاً بديع الصنع .

ودنت إيج من سوتر ودست يدها تحت ذراعه وهمهمت قائلة :

– لقد كان حتماً مني ان استسلم للغضب .. إنني غبية قصيرة النظر ، ولكن ما الذي يدعونا إلى استثناء تلك المرأة ؟ ومـا السر في شدة اهتمامه باستثنائها ؟ أراه يا عزيزي . ما الذي يدفعني إلى هذه الغيرة العمياء ؟

فابتسم سوتر وربت على يدها وهو يقول :

– إن الغيرة لا تجدي يا عزيزتي ، وإذا ساورتك الغيرة فلا تدعيها تبدو عليك ، وبهذه المناسبة أرجو ان تصارحيني : هل تعتقدين حقـاً أن انجيلا ستكليف ممن يمكن الاشتباه فيهم ؟

– كلا بالطبع ، وإنما قلت هذا نكاية فيه .

فضحك سوتر .

وفي هذه اللحظة عاد اليهما كارترايت .

وجلسوا يتناولون قليلاً من الشراب .

وفي أثناء ذلك رسموا خطة للعمل .

فاتفقوا على أن يعود كارترايت إلى (عش الغراب) ، وهي (الفيلا) التي لم يقدم احد على ابتياعها حتى الآن .

وان ترجع إيج ووالدتها إلى منزلها في لوموث ، كذلك قبل الموعد الذي حدداه لرجوعها .

ولما كانت مسز بانجتون ما تزال تقيم بهذه البلدة ، ففي وسعهم أن يتصلوا بها ويقفوا منها على ما يمكن من المعلومــــات ، ثم يعملوا على ضوء البيانات التي يصلون اليها .

وقالت أيج آخر الأمر :

- اسنوفق في النهاية ، نعم أعرف اننا سنوفق .

ومالت إلى ناحية كارترايت وقد لمعت عيناها ، وأدنت كأسها من كأسه وهي تقول :

- لنشرب نخب نجاحنا .

فرفع سير شارلس كأسه إلى شفتيه متمهلاً وهو ينظر في عينيها وقال :

- نخب النجاح المستقبل .

استأجرت مرغريت بانجتون بعد وفاة زوجها ولفـترة ٦ أشهر منزلاً صغيراً من منازل الصيادين لا يبعد كثيراً عن الميناء وأقامت فيه في انتظار شقيقة لها تقيم في اليابان وسوف تعود بعد هذه الفترة .

والحق ان وفاة زوجها قد اثرت في نفسها تأثيراً قوياً ، فقد اقامت معه نحو سبعة عشر عاماً في هذه البلدة الوادعة قضاها كلها راعياً لكنيسة (سانت بيتروك) .

وفيما عدا ابنها روبين المتوفى ، كان لها من زوجها ثلاثة ابناء احدهم يسمى ادوارد ويقيم في جزيرة سيلان .

ولويد وهو في افريقيا الجنوبية .

وستيفن الضابط بالباخرة انجوليا .

وفيما كانت منهمكة ذات يوم في العناية بحديقتها الصغيرة وهي تسليتها الوحيدة في هذه الدنيا ، وجدت نفسها وجهاً لوجه امام كارترايت وإيج ليتون جور .

دهشت مسز بانجتون حين وقع بصرها عليهما ، فقد كانت تعلم ان إيج وامها متغيبتان عن البلدة ، وان كارترايت يقوم بسياحة في جنوبي فرنسا ، على انها مع ذلك احتفت بهما وقادتهما إلى غرفة الاستقبـــال الصغيرة .

ووجهت كلامها إلى كارترايت قائلة :

– الحق ان هذه مفاجأة .. فقد كنت اظن انك بعت قبللا (عش الغراب) .

فأجاب بصراحة :

– ذلك ما كنت اريده ، ولكن مصير الانسان ليس رهناً بارادته .

والتفتت مسز بانجتون الى الفتاة ..

فقالت ايج :

– اصغي الي يا مسز بانجتون ، ليست هـــذه زيارة بالمعنى المفهوم . فقد جئتك وكارترايت في امر خطير ، وكل ما اخشاه هو ان اثير اشجانك .

فراحت مسز بانجتون تقلب بصرها بين زائريها ، وقد ظهرت عليهـا دلائل القلق .

فقال كارترايت :

– احب قبل كل شيء ان اسألك عما اذ كانت وردتك مكاتبة ما من وزارة الداخلية ؟

فأومأت مسز بانجتون برأسها ايجاباً ..

فقال كارترايت :

– فهمت .. اظن ان هذا سيجعل مهمتنا اكثر يسراً ..

– هل هذا ما جئتما بسببه ؟ اعني تلك المكاتبة الخاصة باستخراج جثة زوجي من قبرها ؟

– نعم .. اخشى ان يكون في هذا ما يسؤوك ..

فقالت مسز بانجتون في دعة :

– ان ما يروعني من هذا الأمر هو انه يشير الى ان وفاة زوجي لم تكن وفاة طبيعية ، وهذا امر مستحيل وغير معقول .

– انني اقدر ما تقولين ، وهذا ما خطر لنا اول الأمر ..

– ماذا تعني بعبارة (اول الأمر) ؟

– ذلك لأن الارتيـــاب في موت زوجك خطر في ذهني ليلة وقوع الوفاة ، على اني مثلك قد استبعدتها وطرحتها من ذهني ..

وقالت ايج

– وكذلك خطر لي هذا الرأي ايضاً ..

فنظرت اليها مسز بانجتون في عجب وقالت :

– انت كذلك ؟ هل خطر لك ان احداً ما قد قتل ستيفن ؟

كانت لهجة المرأة تشف عن استنكارها الشديد لما سمعت ، حتى لقد حار زائراها كيف يفصحان عن غرضهما ..

واخيراً قال السير شارلس :

– لا ريب انك تعلمين يا مسز بانجتون انني قد سافرت الى الخارج .. وطالعت في الصحف حينما كنت في جنوب فرنسا ، نبـــأ وفاة صديقي برثلوميو سترينج ، في ظروف تكاد تكون مماثلة ، وكذلك تلقيت رسالة من الآنسة ليتون جور ..

فأومأت ايج برأسها ايجاباً وقالت :

– لقد كنت مدعوة لديه في ذلك الوقت ، نعم يا مسز بانجتون .. ان الظروف كثيرة التشابه .. فقد تناول قليلاً من النبيذ ثم تغيرت هيئته على الأثر .. و .. الواقع ان كلتا الحالتين تتشابهان الى حد كبير ، وقد لفظ الدكتور انفاسه بعد دقيقتين او ثلاث ..

فهزت مسز بانجتون رأسها ببطء وقالت :

– لا استطيع ان افهم ، ستيفن !.. سير برثلوميو ! الطبيب البارع الطيب القلب !.. من ذا الذي يمكن ان يفكر في قتلها ؟ لا ريب ان هناك خطأ ما ..

فقال كارترايت :

– تذكري انه قد ثبت رسمياً ان برثلوميو مات مسموماً !

– لا يفعل ذلك غير مجنون !

وتابع شارلس قائلاً :

– إنني احب ان اصل إلى الحقيقة يا سيدتي ، ولا أرى موجباً لاضاعة الوقت هباء .. ولن يذاع نبأ استخراج جثة زوجك لكيلا يتنبه الجاني ويلزم جانب الحذر ، ورأيت اقتصاداً في الوقت ، أن أفترض مـا سوف تكون نتيجة تشريح جثة زوجك ، وان أعمل في ضوء هذا الافتراض .. فأسلم بأنه قتل كذلك بسم النيكوتين وأبدأ أسئلتي فأقول : هل كان أحدكما يعلم شيئاً عن استعمال النيكوتين النقي ؟

– إنني أستخدم دائماً محلول النيكوتين في رش الأزهار ولم اكن أعلم انه من المواد السامة ..

– انني أعتقد أن مركب النيكوتين الكيميائي النقي استخدم في كلتا الحالتين ، والحق ان حالات التسمم بالنيكوتين نادرة جداً !

فهزت مسز بابجتون رأسها وقالت :

– الواقع إنني لا أعلم شيئاً عن هذه المادة غير ان مدمني التدخين قــد يتأثروا بها .

– هل اعتاد زوجك التدخين ؟

– نعم ..

– إسمعي إلي يا مسز بابجتون .. لقد أعربت عن رفضك التـــام لفكرة اغتيـــال زوجك ، فهل معنى هذا انه لم يكن له أعداء فيما تعلمين ؟

– إنني موقنة أن ستيفن لم يكن له أعداء ، فقد كان محبوبـاً من الجميع ..

– أظن أن زوجك لم يترك مالاً كثيراً ؟

– كلا ، وما تركه لا يكاد يذكر ، فهو لم يكن يؤمن بضرورة الاقتصاد وطالما زجرته لذلك !

– هل كان ينتظر مالاً يؤول اليه من أحد ؟ ألم يكن يتوقع ميراثاً ما ؟

– كلا .. ان ستيفن لم يكن له اقرباء كثيرون ، وله شقيقة متزوجة من قس في نور ثمبرلند ، لكنها في شظف من العيش ..

– إذن . لا يمكن أن يكون هناك من يفيد من وفاة مستر بانجتون !

– كلا ..

– لنرجع إلى موضوع الأعداء الذي تناولناه الآن ، قلت أن زوجك لم يكن له أعداء ، لكن يحتمل انه كان له أعداء في عهد شبابه ..

فقالت في ارتياب :

– لا أظن ذلك ، فقد كان ستيفن مسالماً طيب القلب .

فقال شارلس في تردد :

– إنني لا اريد ان ابدو في نظرك من ارباب الخيال ، ولكن الم يوجد مثلاً أثناء خطوبتك له منافس مرفوض ؟

– كان ستيفن اول مساعد لأبي .. وهو اول شاب قابلته بعد انتهاء عهد الدراسة وقد تبادلنا الحب لأول وهلة .. واستمرت خطوبتنا أربعة أعوام ، ثم التحق بالخدمة في (كنث) ، وبذلك اتيح لنا ان نتزوج .

لقد كانت قصة حبنا غاية في البساطة والسعادة ..

فقالت إيج :

– هل تظنين يا مسز بانجتون ان زوجك قد التقى من قبل بأحد الضيوف الذين كانوا مدعوين لدى سير شارلس في ليلة الوفاة ؟

فبدت على مسز بانجتون دلائل الحيرة واجابت :

- هناك أنت وأمك يا عزيزتي ، والشاب أوليفر ماندرز .

- نعم .. ولكني أعني الآخرين .

- لقد شاهدنا كلاً منذ خمس سنوات في لندن الممثلة انجيلا ستكليف في إحدى رواياتها المسرحية ، أعجبنا بها اعجاباً شديداً حتى لقد كان في نيتنا أن نقابلها ..

- وهل قابلتماها ؟

- كلا .. لم يتح لنا أن نلتقي بممثلين او ممثلات ، حتى جاء شارلس إلى هنا .

- ألم تقابلا الكابتن ومدام ديكرس ؟

- أهما ذلك الرجل الصغير الجسم ، وتلك المرأة ذات الملابس العجيبة ؟

- نعم ..

- كلا ، ولا تلك المرأة التي تقوم بتأليف الروايات المسرحية .

- هل أنت واثقة من أنكما لم تقابلا أحداً منهم من قبل ؟

- إنني على تمام اليقين من أننا لم نقابلهم ..

فقالت إيج في الحاح :

- وهل لم يذكر لك مستر بابجتون شيئاً عن أولئك الأشخاص الذين كان مقدراً أن تشاهديهم من الحفلة ، أو حين مقابلتك لهم ؟

- لم يطلعني سلفاً عن شيء ، إلا أنه كان يتوقع سهرة طريفة ، ولما ذهبنا إلى منزل السير شارلس .. آه .. إننا لم نستمر طويلاً !

وبدت على محياها دلائل الألم !

وتدخل كارترايت بسرعة قائلاً :

- أرجو أن تغفري لنا ازعاجك على هذا النحو ، ولكن في وسعك أن تدركي أن هناك شيئاً ما نتمنى لو يتاح لنا الاهتداء اليه ، إذ لا بد

من وجود دافع لهذه الجريمة الوحشية ؟

فقالت مدام بانجتون :

– إنني أدرك مـــا تعني .. إذا كانت هناك جريمة ، فلا بد من وجود دافع لها .. لكنني لا أعرف ، ولا يمكن ان أتصور ، كنه هذا الدافع ..

وساد الصمت هنيهة ..

وما لبث ان قطعه كارترايت قائلا :

– أيمكنك أن تدلي إليّ بموجز من تاريخ حياة زوجك ؟

فراحت مسز بانجتون تروي له قصة حياة زوجها واستخلص من قصتها البيانات التالية :

« ستيفن بانجتون ، ولد في مقاطعة ديفونشير ، وتلقى علومـــه في مدرسة سانت بول وجـــامعة اكسفورد ، عين قساً وتقلب في مراكز كنسية متعددة في هوكستون والسنجتون ، وتزوج مـــارجريت لوريم في جيلنج ، بمقاطعة (كنت) ، ثم نقل إلى كنيسة سانت بيتروك في لوموت » ..

وقال كارترايت بعد أن فرغ من تسجيل هذه البيانات :

– هذه المعلومات تهيىء لنا سبيلا للبحث . وأكبر فرصة تتاح لنا في هذا البحث هي تلك الفترة التي كان فيها قساً في كنيسة سانت ماري في جلينج ، وتاريخه السابق لهذه المرحلة لا يكاد يهم أحداً ممن كانوا في منزلي في تلك الليلة المعلومة

فارتعدت مسز بانجتون وقالت :

– أتظن حقاً .. أن أحدهم ؟

فأجاب كارترايت :

– لا أدري كيف أحدد خواطري ، ولا ريب أن برثلوميو قد رأى

واستنتج شيئاً ما ، وقد مات كما مات زوجك من قبل ويوجد خمسة ..

فقاطعته إيج :

- سبعة !

- .. من هؤلاء الأشخاص كانوا حاضرين كذلك .. ولا بد أن يكون أحدهم هو الجاني ؟

فهتفت مدام بانجتون :

- ولكن ما السبب ؟ ما السبب ؟ ما هو ذلك الدافع إلى قتل ستيفن ؟

فأجاب كارترايت :

- هذا ما سوف نكشف عنه الستار !

نزل سوتر ضيفاً على صديقه في (عش الغراب) .

وفيما كان للسير شارلس ، وإيج ليتون جور يزوران مسز بانجتون ، كان سوتر من ناحيته ، يتناول الشاي مع الليدي ليتون جور في بيتهـــا ..

كانت الليدي ماري قد أعجبت بطبيعته منذ مقابلتها الأولى ، ولذا راحت تستأنف حديثها عن ابنتها ، فقالت :

- ان إيج فتاة عنيدة ، إذا انهمكت في موضوع لا تنثني عنـــه ، وأصارحك إنني لا أرتاح إلى اقحامها نفسها في هذه القضية المحزنة !

- إنني أدرك ما ترمين اليه . واصارحك إنني لا اميل كذلك إلى هذه القضية !

- إنني لا أحب ذكر الجريمة ، ولم أحلم في حيــاتي قط بالاتصال بجريمة ما .. والحق أنها جريمة مروعة ، مسكين برثلوميو !

فاجترأ على ان يسألها :

- ألم تكن لك به معرفة وثيقة ؟

- أظن انني رأيته مرتين فقط .. وكانت المرة الأولى منذ نحو عام حينما قدم إلى منزل السير شارلس لقضاء عطلة نهــاية الأسبوع ، والمرة الثانية في تلك الليلة المروعة التي توفي فيها مستر بانجتون ، وأصارحك إني

دهشت كثيراً حينما تلقيت دعوة منه ، على اني قبلتها رغبة في ادخال السرور على نفس إبج ..

وتورد وجهها ..

فنظر اليها متسائلاً ..

فاستطردت تقول :

– أعتقد انه شاب ذكي .. نعم إن ظروفه كانت قاسية .

فأومأ سوتر برأسه إيجاباً وقال :

– أرجو ان تقصي علي شيئاً عن أوليفر ماندرز ، فإنني يسرني التحدث عنه !

فقالت الليدي ماري :

– يمكنك أن تدرك أن والده لم يتزوج بأمه ..

– أحقاً تقولين ؟ لم يخطر لي شيء ما في هذا الشأن ؟

فأردفت ماري :

– هذه القصة شائعة هنا ، وإلا ما حدثتك عنها ، فإن جدة اوليفر تقيم في منزل في الطريق المؤدي إلى بليموث .. وكان زوجها محامياً في هذه البلدة .

وكان لهما ابن التحق بأحد المصانع في لندن ونجح في حياته العملية ، وهو الآن من ذوي اليسار .

ووقع هذا الابن عقب زواجه في شراك فتاة جميلة فتنت به فكانت لهما مغامرات مشهورة ، على ان زوجته لم تشأ ان تطلب الطلاق منه ، لكن الفتاة لم تلبث ان توفيت عقب وضع اوليفر بوقت قصير .

فكفله عم له في لندن ، ولما لم يكن لعمه وزوجته اولاد فقد عكفا على رعايته ، فشب اوليفر ، فكان يقسم وقته بينهما وبين جدته ، وكثيراً ما اتى الى هنا لقضاء اجازته الصيفية ..

وصمتت هنيهة ..

ثم تابعت قائلة :

– اني كنت وما أزال اشعر بالرثاء له .. واحسب انه انما يتظاهر بالصلف والغطرسة ليحجب احساسه بالمهانة لأنه ابن غير شرعي !

– لا عجب .. فهذه ظاهرة مألوفة .. فما من مختال مزهو الا وفي منبته شيء من الضعة .. وهذه الظاهرة هي مصدر كثير من الجرائم .. فمنها تتولد شهوة السيطرة وتغلب المطامع الشخصية .

وصمت لحظة ..

ثم سأل :

– وكيف كان سلوك اوليفر ماندرز نحو القس بانجتون ؟

فترددت الليدي ماري قليلا ..

ثم اجابت :

– كان بانجتون وزوجته يبديان اسفهما وعطفهما على ما أصاب اوليفر في نشأته ، وقد اعتاد الشاب ان يختلف الى الأبرشية أيام عطلته ليلهو ويلعب مع أبناء القس ..

وان كنت اعتقد ان علاقته مع الأبناء لم تكن باعثة على الرضا بسبب مباهاته امامهم بما اتيح له من مال وترف ، والحق ان الصغار لا يتورعون عن التراشق بهذه المسائل ..

فسألها :

– هو ذاك ، ولكن ماذا كان منه حينما كبر وترعرع ؟

– لا اظن انه اتصل بعائلة القس فيما بعد اتصالا مذكوراً ، والواقع ان اوليفر خاطب يوماً مستر بانجتون بخشونة وبغير احترام ، وكان ذلك في بيتي هنا منذ عامين .

– وكيف حدث ذلك ؟

- راح أوليفر يحمل على بعض التقاليد الدينية ، ويخوض فيها بما لا ينبغي ، ولما قابله بانجتون بالصبر والتسامح لم يزدد الشاب إلا إمعاناً وعتواً . وأذكر أنه خاطب القس قائلاً :

« أراكم يا معشر القسس تبدون استياءكم لأن أبي وأمي لم يتزوجا . وأحسب أنكم تنعتونني بابن الزنا ، وأصارحكم انني أعجب من كل قلبي بأولئك الأفراد الذين يقدمون على تحقيق ما يرونه صواباً غير عابئين بما يقوله نفر من القساوسة المنافقين » . لكن بانجتون لم يجبه إلا بما طبع عليه من الرقة والتسامح ، فلما رأى الشاب منه ذلك فطن إلى مـا فرط منه وأمسك عن اندفاعه .

راح سوتر ينظر اليها مفكراً ..

ثم قال :

- وماذا كان رأي السير برثلوميو ستربنج في الشاب ؟ الم يتحدث عنه مرة ؟

- أذكر أنه قال يوماً أن لماندرز شخصية طريفة جديرة بالدراسة ، وقال أنه يذكره باحدى الحالات المرضية التي كان يشرف على معالجتها في مصحته في ذلك الحين ، ولما ذكرت أمامه ان اوليفر شاب تبدو عليه دلائل الصحة والقوة ، اجابني بهذه العبارة : « نعم .. إن حالته الصحية على ما يرام ، لكنه يوشك أن ينهار » ..

وكفت عن الكلام هنيهة ..

ثم تابعت قائلة :

- أظن أن السير شارلس برثلوميو كان أخصائياً بارعاً في الأمراض العصبية !

- أعتقد أنه كان في طليعة المشاهير في هذا الميدان .

فقالت الليدي ماري :

– إنني كنت أميل اليه .

– الم يذكر أمامك شيئاً عن وفاة بانجتون ؟

– كلا . .

– الم يطرق هذا الموضوع على الاطلاق ؟

– لا أظن !

– هل كان سلوكه يوحي بأن هناك ما يشغله أو يقلقه ؟

– كانت تلوح عليه دلائل المرح والانشراح ، وقد ذكر لي أثناء العشاء في تلك الليلة انه سيبادرني بمفاجأة ما .

* * *

ولم يتمالك سوتر ، وهو في طريقه إلى منزل صديقه أن يقلب هذا التصريح الذي سمعه على مختلف وجوهه .

ترى ما هي تلك المفاجأة التي كان في نية السير برثلوميو أن يبادر بها ضيوفه ؟

اجتمع شارلس وسوتر وإيج في شبه مؤتمر في القاعة الفسيحة (بعش الغراب) حول النار المشتعلة في الموقد .. بينما كانت العاصفة تزأر في الخارج .

فسأل كارترايت :

- هل تقدمنا في أبحاثنا ؟

فأجاب سوتر :

- كلا .. ففي مقدورنا الآن أن نستبعد فكرة الافادة من وفاة بانجتون ، فإنه لا يبدو أن هناك من يفيد مادياً بالقضاء على ستيفن بانجتون ..

وكذلك يمكن ان نسقط من حسابنا دافع الثأر . وأعتقد بغض النظر عن وداعة بانجتون وطبيعته المسالمة ، انه لم يبلغ من نباهة الشأن بحيث يثير عداء أحد .

فلم يبق امامنا إذن إلا الدافع الأخير ، وهو الخوف فهناك من يفيد من وفاة ستيفن بانجتون أمنا وطمأنينة .

فقالت إيج :

- هذه فكرة طيبة !

ولاحت على وجه سوتر دلائل الرضا بما وفق اليه من استنتاج

أما كارترايت فقد علا وجهه شيء من الاستياء ، فقد كان يريد أن يكون هو (النجم) في هذه القصة .

وقالت إيج ثانية :

– ما هي خطوتنا التالية بعد ذلك ؟ اعني خطوتنا العملية ؟

وقبل أن يجيب احد عن هذا السؤال ، فتح الباب ، وأعلنت الوصيفة قدوم زائر قائلة :

– مستر هركيول بوارو .

ودخل بوارو ووجهه يتألق بشراً ، فحيا الحاضرين وهم في دهشة بالغة وقال باسماً :

– هل يسمح لي بشهود هذا المؤتمر ؟ لا ريب أنه مؤتمر كما قلت ، اليس كذلك ؟

فأجاب كارترايت وقد ثاب من ذهوله :

– الحق إننا مبتهجون لرؤيتك .

وصافح زائره بحرارة ودعاه إلى الجلوس قائلا :

– من اين جئت على هذا النحو المفاجيء ؟

– لقد ذهبت لزيارة صديقي الطبيب مستر سوتر في لندن ، فقيل لي انه سافر إلى مقاطعة كورنوول .. فأدركت على الفور اين ذهب ، ولذلك ركبت اول قطار الى لوموث .. وهأنذا ..

وقالت إيج :

– نعم .. ولكن لم جئت ؟

ولما أدركت ما في هذا السؤال من الخشونة وفساد الذوق ، تابعت وقد تورد وجهها :

– اعني هل جئت لغرض خاص ؟

فأجاب هركيول بوارو :

– انني جئت للاعتراف بخطئي ..

والتفت الى كارترايت وتابع قائلا :

– انك قررت في هذه الغرفة يا صديقي انك غير مطمئن ، وقد خيل لي حين سمعتك أن طبيعتك المسرحية قد غلبت عليك ، وقلت لنفسي : « أنه ممثل مجيد ، وهو يهيم بالمآسي وينشدها بأي ثمن » .

واصارحك انه بدا لي في ذلك الحين انه لا يعقل ان يموت مثل ذلك الكهل الوديع المسالم ميتة غير طبيعية ، بل انني الآن لا افهم كيف دس له السم ، ولا ما هو الدافع ، ومع ذلك ، فقد حدثت وفاة ثانية ، في ظروف مشابهة ..

ولا يمكن ان نعزو هذا التشابه الى الصدفة المجردة .. كلا .. لا بد من وجود اتصال بين الحادثين . . ولذلك جئتك يا سير شارلس كي اعتذر اليك ، وكي اقول لك انني انا هركيول بوارو كنت مخطئاً فيما ذهبت اليه ، واني اسألك ان تأذن بانضمامي الى جماعتكم ..

فقال كارترايت وقد لاح عليه اضطراب يسير :

– هذه مبادرة لطيفة منك يا مسيو بوارو ، ولا ادري ، وقد استنفدت من وقتك هذه المدة ، اني ..

وكف عن اتمام عبارته وهو لا يدري ماذا يقول ، وتطلع الى سوتر مستنجداً ، فقال هذا :

– نعم ، هذه مبادرة لطيفة ..

– لا .. لا .. ليس هذا هو الدافع .. الدافع الحقيقي هو الفضول .. أجل .. وهو كذلك المساس بكبريائي ، فإن من واجبي ان اتدارك هفوتي ، أما وقتي .. فهو لا شيء .. على انكم بالطبع اذا كنتم تشعرون بأنني اتطفل ..

فقال كارترايت وسوتر معاً :

- كلا .. البتة !

فالتفت بوارو الى الفتاة فسألها :

- والآنسة ؟

فلزمت ايج الصمت هنيهة ، واحس الرجال الثلاثة بما لا يدع مجالاً للشك ان الفتاة لا تريد معاونة بوارو ..

اما سوتر فقد ادرك السر في مسلكها .. فقد اتفق كارترايت وايج على الاضطلاع ببحث هذه القضية ، وقبلا معاونته على انه شخصية ثانوية لا تأثير لها في محيط البحث ..

لكن هركيول بوارو سيكون له شأن آخر ، فسيتزعم الجميع في البحث والاستقصاء ، ولا يبعد ان يتنحى كارترايت ارضاء له ، فـــلا تلبث تلك الخطط التي رسمتها ايج ان تنهار وتتلاشى ..

نظر سوتر الى الفتاة مشفقاً ، فقد كان وحده يفهمها من دون الجميع ، فماذا يكون جوابها وهي تناضل للفوز بسعادتها ؟

وكيف تعرب عما يجيش في نفسها من الخواطر ، وتقول للدخيل :

« اذهب ! اذهب ! ان قدومك سيفسد كل شيء .. اني لا اريدك .. »

على ان ايج فاهت بالجواب الذي لم يكن منه بد ، فأجابت وهي تبتسم ابتسامة فاترة :

- نعم .. لا ريب اننا نسر بمعاونتك لنا ..

- ١٥ -

قال بوارو حين وقف على رأي إيج :

– بديع .. نحن زملاء إذن . أرجو أن تتفضلوا باطـلاعي على ظروف الموقف

فتولى سوثر سرد الخطوات التي قام بها هو وصديقه منذ عودتهما إلى انجلترا ، فلما ألم بظروف الاهتداء إلى مسودات الرسائل امتدح ذكاء كارترايت ، ثم التفت الى سوثر وقال له حين فرغ من بسط قصته :

– لا ريب أن تلك الملاحظة التي أبديتهـا أنت كذلك فيما يتصل بظروف تبسط السير برثلوميو الفجائي مع رئيس خـدمه ، هي ملاحظة حقـة .

فقال كارترايت باهتمام :

– أتظن أن هناك أي مغزى لقصة مدام دي رشبريدجر ؟

– هي فكرة كغيرها ، ويمكن أن نستخلص منها دلالات متعـددة اليس كذلك ؟

ولم يستطع أحدهم أن يدرك ماهية هذه الدلالات التي يشير اليهـا بوارو ، بيد أنهم لم يميلوا إلى الاعتراف بهذه الحقيقة ، ولذلك وافقوا على رأي بوارو بعبارات مبهمة .

وجاء دور كارترايت ، فتكلم عن زيارته وإيج لمدام بابجتون ونتيجتها

السلبية ، فقال :

- والآن ، ها أنت ذا قد وقفت على كل شيء ، وألممت بكل ما نعرفه فقل لنا إذن ، كيف يبدو لك الموقف ؟

ومال كارترايت إلى الأمام وقد بدت عليه دلائل الاهتمام.

أما بوارو فقد لزم الصمت بضع دقائق ، وراح الثلاثة يتفرسون في وجهه ، وأخيراً قال :

- هل يمكنك يا آنسة أن تتذكري وصف الكؤوس التي قدم فيها الشراب إلى المدعوين على مائدة السير برثلوميو ؟

فهزت إيج رأسها في استياء !

وتدخل كارترايت فقال :

- في وسعي أن أخبرك بما تريد ..

ونهض وذهب إلى دولاب ، وعاد يحمل بعض أكواب من الزجاج وقال :

- إنها تشبه هذه فيما عدا فروقاً يسيرة .. فقد ابتاع السير برثلوميو (طقماً) كاملاً في مزاد عقد في محل (لأمر سفيلد) ، والحق انني أعجبت بشكلها ، ولما لم يكن في حاجة اليها كلها فقد أعطاني طائفة منها ، إنها جميلة الشكل اليس كذلك ؟

فتناول بوارو الكأس وأدارها في يده ..

ثم أجاب قائلا :

- نعم . هي من نوع دقيق الصنع .. وقد خطر لي أن هذا النوع قد استخدم في تقديم الشراب في تلك الليلة ..

فهتفت إيج قائلة :

- ما السبب ؟

فلم يجب بوارو عن سؤالها ، وإنما اكتفى بالابتسام في وجهها ..

واستطرد قائلا :

- أجل .. إن وفاة برثلوميو يمكن تفسيرها في غير عناء ، أمـــا وفاة بانجتون فهي اكثر تعقيداً .. ولكن حدث العكس !

فقال سوتر :

- ماذا تعني ؟

فالتفت اليه بوارو وأجاب قائلا :

- اصغ اليّ يا صديقي .. لقد كان السير برثلوميو ستريبنج طبيبا ذائع الصيت ، ويمكن أن تتوفر أسباب كثيرة للقضاء على طبيب ذائع الصيت . إن الطبيب يا صديقي يقف على أسرار خطيرة بطبيعـــة مهنته ، فقد يخامره الشك في وفاة فجائية تحدث لأحـــد المرضى الذين يتولى علاجهم ، ويصبح بقاؤه غير مرغوب فيه ..

والآن ، كما قلت لكم ، لو كان العكس قد حدث ، أعني إذا كان برثلوميو قد توفي أولاً ، ثم أعقبه بانجتون ، ففي هذه الحالة يمكن أن نعلل وفاة القس بأنه قد شاهد شيئاً ، او ارتاب في شيء يتصل بحادث الوفاة الأولى .

وتنهد بوارو ..

ثم أكمل :

- لكن الانسان لا يستطيع ان يصبغ القضايا على ما يحب ويهوى ، ولا مناص من قبول القضية على علاتها ..

على ان هناك رأيا أحب أن أبسطه ، فإني اعتقد أنه لا يحتمل أن تكون وفاة بانجتون قد حدثت من قبيل الصدفة المجردة ، وان السم الذي دس له - إذا كان قد مات بالسم حقاً - قد قصد به السير برثلوميو ولكن رجلا آخر غير المقصود به هو بانجتون تناوله فقضى نحبه .

فرد كارترايت :

- هذه فكرة بارعة ..

على أنه لم يلبث ان تجهم وجهه .. وتابع قائلا :

– لكني لا احسب ان هذة الفكرة تصمد امام الواقع ، فإن بانجتون جاء الى هذه الغرفة قبل ان يصاب بالنوبة التي قضت عليه بأربع دقائق .. وهو لم يذق شيئاً أثناء هذه الفترة سوى بضع جرعات من (الكوكتيل) ولم يكن هناك شيء في هذا الشراب ..

فقاطعه بوارو قائلا :

– سبق ان أخبرتني بهذا .. ولكن لنفرض جدلاً أن هذا (الكوكتيل) كان يحوي شيئاً ما .. افلا يمكن أن يكون هذا الشراب الخاص قد اعد لسير برثلوميو ستربنج ، وان بانجتون تناوله خطأ ؟.

فهز كارترايت رأسه واجاب :

– لا يمكن ان يحاول أحد ممن يعرفون تولي جيداً تسميمه بواسطة (الكوكتيل) ؟

– ولماذا ؟

– لأنه لم يكن يشرب (الكوكتيل) ..

– بتاتاً ؟..

– نعم ..

فقال بوارو في استياء :

– ويح هذة القضية ، لا يكاد يبدو فيها بريق أمل حتى يخبو .

واستطرد شارلس قائلا :

– وفوق ذلك فلست افهم كيف يمكن ان يخلط بين الكؤوس ، او ما يشبه هذا الافتراض .. فقد حملت الوصيفة (قبل) هذه الكؤوس فوق صينية دارت بها على المدعوين ، وتناول كل مدعو الكأس التي وقع اختياره عليها ..

فغمغم بوارو :

– هـذا صحيح ، من هي تمبـل التي حملت كؤوس الشراب ؟ أهي تلك الوصيفة التي أدخلتني هذه الليلة ؟

– نعم .. وقد مضى عليها في خدمتي نحو أربعة اعوام ، وهو فتـاة حسنة السلوك ، تجيد عملها ، ولا أعرف ماضيها ، وربما كانت مس ميلراي تعرف ذلك ..

– مس ميلراي ؟ سكرتيرتك ؟ اني تناولت لديك طعـام العشاء في مناسبات مختلفة ، لكني لا اظن اني قابلتها من قبل .

– انها لا تتناول العشاء معنا في الغالب ، ولكن رقم ١٣ هو السبب في جلوسها معنا تلك الليلة ..

وراح كارترايت يقص على بوارو تفصيل ذلك ، وانصت اليه بوارو بعناية ..

فلما فرغ سأل :

– فهمت .. كانت هي صاحبة اقتراح الجلوس معكم على المائدة ..

وأخذ بوارو الى الصمت قليلا واستغرق في التفكير ، ثم قال :

– أيمكن أن أتحدث قليلا مع خادمتك المدعوة تمبل ؟

– بلا ريب ..

وقرع كارترايت الجرس ..

فأقبلت تمبل على الفور .

ورأى فيها بوارو فتاة في نحو الثانية والثلاثين من عمرهـا ، ذات شعر لامع ورشاقة واضحة ..

قال كارترايت :

– ان مسيو بوارو يود أن يلقي عليك بعض الأسئلة ..

فالتفتت الوصيفة الى بوارو ..

فقال لها :

– هل تتذكرين تلك الليلة التي توفي فيها مستر بابنجتون .

– نعم يا سيدي ..

– أود أن أعرف كيف أعد (الكوكتيل) ؟

فسألت تمبل :

– معذرة يا سيدي ..

فقال بوارو :

– أريد أن أعرف كل ما يتصل بهذا (الكوكتيل) ، هل توليت أنت مزجه ؟

– كلا يا سيدي ، فإن سير شارلس يميل إلى القيام بهذه المهمة بنفسه ، فأحضرت له زجاجات الشراب اللازمة .

– وأين وضعتها ؟

فأشارت إلى مائدة قرب الجدار وأجابت :

– فوق هذه المائدة يا سيدي .. وكانت الكؤوس موضوعة فوق صينية إلى جانبها .. ولما فرغ من مزج الشراب ، صبه في الكؤوس ، ثم حملت الصينية وطفت بها على المدعوين من الرجال والسيدات .

فسألها بوارو :

– هل كانت جميع كؤوس (الكوكتيل) فوق الصينية التي حملتها ؟

– كان سير شارلس قبل ان أحمل الصينية يتحدث مع الآنسة ليتون جور ، ولذلك أخذ لنفسه كأساً ، وناول الآنسة كأساً أخرى ، ثم جاء مستر سوتر وتناول كأساً رابعة قدمها إلى الآنسة ويلز .

فقال سوتر :

– هذا صحيح !

وأردفت تمبل :

أما باقي الكؤوس فقد حملتها بنفسي ، وأحسب ان جميع المدعوين قد تناولوا كؤوسهم ، ما عدا مستر برثلوميو .

– هل يمكنك أن تعيدي أمامنا تمثيل ما حدث ؟

– سنرمز إلى المدعوين ببعض الوسائد ، أتذكر أني وقفت في هـذا الموضع ، وكانت الآنسة ستكليف هناك .

وأعيد تمثيل المشهد بمعاونة سوتر الذي كان قوي الذاكرة لا يفوته أن يلاحظ شيئاً .

ثم أخذت تمبل تقوم بالطواف كما فعلت في تلك الليلة ، فرأوا أنهـا قد بدأت بمدام ديكرس ، ثم تركتها إلى الآنسة ستكليف وبوارو .. ثم إلى مستر بانجتون ، والليدي مـاري ومستر سوتر ، وكانوا جالسين معاً !

وطابق هذا التمثيل ما كان يتذكره سوتر .

ولما امرت تمبل بالانصراف ..

هتف بوارو قائلاً :

– وكانت تمبل آخر من تناول هذه الكؤوس ، لكن يستحيل أن تكون قد عبثت بها على وجه من الوجوه .

وفوق ذلك ، فإن الكؤوس توضع متقاربة ، ولا ينظر الشارب في اختيار كأس معينة ، حتى يقال أنها صفت في وضع خاص .. أخبرني يا مستر سوتر .. هل وضع مستر بانجتون كأسه ، او ابقاها في يده ؟

– بل وضعها فوق هذه المائدة .

فسأل بوارو :

– هل دنا أحد من هذه المائدة بعد ان وضع الكأس ؟

– كلا .. فقد كنت أقرب اليه من الجميع ، وانا على يقين من اني لم اعبث بها على وجه من الوجوه ، حتى ولو اتيح لي ان افعل ذلك دون

ان يفطن إليّ أحد ..

قال سوتر هذه العبارة في شيء من الجفاء ..

فبادر بوارو بالاعتـذار قائلا :

– لا .. لا .. أنا لا أتهم .. وإنما أريد ان استوثق من الحقائق التي أبني عليها نظريتي ، لقد ثبت من التحليل الكيميائي عدم وجود شيء غير عادي في الكؤوس .

لكن بانجتون لم يأكل أو يشرب شيئاً آخر ، وإذ صح انه قد دس له النيكوتين النقي قبل حضوره ، فلا ريب ان الوفاة كانت تحـدث فوراً .. وقبل ان يجيء إلى هنا .. أترون إلى اين تفضي بنا هذه الفكرة ؟

– إنها لا تفضي إلى غاية معينة ؟

– إن هذه الفكرة تشير إلى حقيقة مروعة ، وهي حقيقـة ارجو واعتقد انها ليست من الصواب في شيء ، نعم .. لا ريب ان هذا غير صحيح ، وان وفاة مستر برثلوميو تدل على ذلك ، ومع هذا ؟

وقطب وجهه وغرق في التفكير .

وتطلع اليه الجميع بفضول وتساؤل ..

فرفع رأسه وقال :

– هل رأيتم ما أرمي اليه ؟ ان مدام بانجتون لم تكن في منزل مستر برثلوميو ستريبنج .. وإذن فـإن مدام بانجتون بريئـة من الشك والاتهـــام .

– مدام بانجتون ؟ لكن احداً لم يحلم بالارتياب فيها .

فابتسم بوارو وقال :

– أحقا ؟ هـذا عجيب .. إلا أن هذه الفكرة قـد خطرت لي على الفور .. وقلت لنفسي انه إذا لم يكن ذلك القس قد دس له السم في

(الكوكتيل) ، فلا بد أن يكون قد دس له قبل دخوله المنزل بدقـائق قلائل . فما هي الوسائل التي تكفل تحقيق هذه الغاية ؟ قرص مثلاً مما يتخذ للمساعدة على الهضم .. ولكن من يمكن أن يسمم مثل هذا القرص ؟ لا يوجد من يستطيع ذلك غير الزوجـة .. ثم من الذي يتوفر له الدافع على ارتكاب الجريمة ، بحيث لا يرتاب فيه أحد من الخارج ؟ الزوجـة وحدها أيضاً ؟

هنالك هتفت إيج في اهتياج قائلة :

– لكنهما كانا يتبادلان الحب الوثيق والاخلاص الأكيد ، أنت لا تفهم شيئاً على الاطلاق !

فابتسم بوارو ونظر اليها في رقة فقال :

– اسمحي لي يا آنسة أن أذكر انني شاهدت خـلال سنوات عملي الطويلة خمس جرائم قتل مات فيها أزواج محبون مخلصون على زوجاتهم واثنين وعشرين جريمة قضت فيها زوجات محبات مخلصات على أزواجهن ، آه من المرأة !

فقالت إيج :

– أنت رجل مريع ، اني أعلم أن عـائلة بانجتون ليست من ذلك الطراز ، انها فظاعة !

فقال بوارو في لهجة صارمة :

– بل الجريمة هي الفظاعة بعينها

على أنه استطرد في صوت أرق :

– لكنني وانا انظر إلى الحقائق فقط ، اتفق معك في أن مدام بانجتون لم ترتكب تلك الجريمة المزدوجة ، فإنها لم تكن في منزل مستر برثلوميو ستريتج .. نعم .. إنما صدرت تلك الجريمة عن شخص شهد الاجتماعين ، كما قرر ذلك السير شارلس .. وهو أحد هؤلاء الأشخاص السبعة المعروفة

اسماؤهم لديك !

ساد الصمت عقب تلك العبارة .

وقال سوتر أخيراً :

- وبم تشير علينا ؟

فقال بوارو :

- لا بد انكم قد أعددتم خطة خاصة بكم ؟

فقال كارترايت :

- لقد ارتأينا ان نتهم كل شخص من اولئك الذين سجلت اسماؤهم حتى يقوم الدليل على براءته ، ولكي افسر غرضي اقول اننا اعتزمنا إماطة اللثام عن الصلة بين كل متهم وبين ستيفن بانجتون ، وان نبذل كل ما نستطيع من ذكاء وسعة حيلة حتى نكشف عن طبيعة هذه الصلة ، فإذا لم يثبت لنا وجود شيء ، تركنا هذا المتهم إلى غيره .

فقال بوارو :

- انها طريقة تحليلية طيبة ، وما هي الوسائل التي تعتزمون بها تحقيق هذه الغاية ؟

- لم يتيسر لنا الوقت للمناقشة في هذا الصدد ونحن نرحب برأيك فيما ينبغي عمله يا مسيو بوارو ..

فرفع بوارو يده قائلاً :

- لا تسألني يا صديقي شيئاً مما يدخل في باب النصائح العملية .. ان يقيني الذي لا يتزعزع هو ان كل معضلة او قضية غامضة انما يمكن تذليلها على خير الوجوه بالتفكير والاستنباط ، ويمكنكم ان تستمروا في التحريات التي يدير سير شارلس دفتها بنجاح ، واذا احتجتم احياناً الى التماس المشورة ، فأنا على اتم استعداد لامدادكم برأيي .

والتفت الى ايج وقال لها باسماً :

- ما رأيك في ذلك يا آنسة ؟

فأجابت ايح :

- اني اوافق ، وفي يقيني أنه سيكون لنا من اختباراتك السابقة ما يساعدنا على النجاح .

ونظرت في ساعتها وقد بدت عليها امارات الارتياح .. ثم هتفت قائلة :

- لا بد لي من العودة إلى المنزل .. فإن والدتي سيساورها القلق علي !

فقال شارلس :

- سأقلك بسيارتي الى منزلك ؟

وخرج الاثنان معاً !

أرسل سوتر بصره في اثر سير شارلس وابج حين غادرا المكان ، وما لبث ان انتفض حينما فاجأه بوارو بهذه العبارة :

- أرأيت ؟ لقد صيدت السمكة .

وكان بوارو يبتسم في شيء من السخرية ..

واستطرد قائلاً :

- لنرجع الآن الى تلك الجريمة ، فإنها شديدة التعقيد ، وهي تثير حيرتي !.

- أية جريمة تعني ؟ الأولى او الثانية ؟

فقال بوارو

- لا توجد غير جريمة واحدة ، وما تنعته بالأولى او الثانية ، ليس الا شطرين لجريمة واحدة ، والحق ان الشطر الثاني واضح سواء في الدافع اليه او في الوسائل التي استعملت لتنفيذه .

فقاطعه سوتر قائلاً :

- من المحقق ان هذه الوسائل تبدو شديدة الغموض ، فإنه لم يثبت وجود السم في الشراب الذي قدم في كلتا المناسبتين ، فقد تناول الجميع من طعام واحد !

فقال بوارو :

– لا .. لا .. بل ان التباين كبير .. اذ من الواضح في القضية الأولى انه لا يمكن ان يكون هناك من دس السم الى ستيفن بانجتون ..

ولو اراد سير شارلس لاستطاع ان يسمم اي واحد من ضيوفه ، بيد أنه لا يستطيع ان يسمم فرداً معيناً ، وكان يمكن ان تدس الوصيفة تمبل شيئاً ما في آخر كأس فوق الصينية ، لكن تبين ان كأس بانجتون لم تكن آخر هذه الكؤوس !

كلا .. ان اغتيال بانجتون يبدو في نظري شديد الاستحالة ، حتى لأكاد انادي ببطلان ذاك الرأي ، وبأنه مات ميتة طبيعية ، لكننا سنتحقق من هذه المسألة قريباً ..

امـــا القضية الثانية فأمرها يختلف كثيراً .. فقد كان في وسع أي واحد من الضيوف الحـــاضرين ، بل في وسع رئيس الخدم او الوصيفة ، ان يدس السم لسير برثلوميو ستريننج ، دون ان يجد في ذلك أية صعوبة !

فقال سوتر :

– اني لا افهم ..

فقاطعه بوارو قائلاً :

– سأبرهن لك يوماً ما على ذلك باجراء تجربة بسيطة ..

وفي هذه اللحظة اقبل السير شارلس تبدو عليه دلائل الابتهاج ، وقـــال :

– لنرسم الآن خطة الهجوم ..

ثم سأل :

– أين تلك القائمة يا عزيزي ؟ شكراً ..

يمكن ان نقسم اصحاب تلك الأسمـــاء الى عدة اقسام .. ولدينا مدام ديكرس .. وقد ابدت ايج اهتماماً شديداً بادراجهـــا في

هذه القائمة ..

ثم هناك أيضاً انجيلا ستكليف !

فقال سوتر :

– سوف تكون من نصيبك يا كارترايت ، فأنت تعرفها معرفة طيبة اليس كذلك ؟

فقال كارترايت :

– بلى ، وهذا ما يجعلني اتخلى عنها لغيري .. حتى لا أتهم بمحاباتها ، فإنها صديقة لي !

وقال بوارو :

– إذن سوف يخلفك مستر سوتر في هذه المهمة .

فقال كارترايت :

– ولا ريب أننا نستطيع أن نسقط من حسابنا الليدي ماري وايج ، ولكن كيف سيكون موقفنا مع ماندرز ؟

فقال بوارو :

– سيتكفل مستر سوتر بالبحث في امر ماندرز ، لكنك نسيت إسماً مسجلاً في القائمة يا مستر كارترايت .. فقد تجاوزت عن الآنسة موريل ويلز !

– صحيح .. ما دام سوتر سينظر في أمر ماندرز فسأتكفل بشخص الآنسة ويلز .. هل اتفقنا ؟ ألديك ما تشير به علينا يا مسيو بوارو ؟

فأجابه بوارو :

– كلا .. ولكن هناك مسألة تثير الحيرة ، إن صديقك السير برثلوميو لم يكن يشرب (الكوكتيل) ، ولكنه مع ذلك شرب النبيذ ؟

– نعم .. كان ميله إلى النبيذ ، هو نقطة ضعفه .

– ومما يبعث على العجب أنه لم يتوسم في الشراب طعماً غير مألوف ، فإن للنيكوتين النقي طعماً لاذعاً جداً ، شديد المرارة .

فقال مستر شارلس متشداً :

– لقد أصيب تولي بنوبة انفلونزا حادة في الربيع الماضي ، أثرت تأثيراً قوياً في حاستي الشم والذوق لديه .

فقال بوارو في شيء من التفكير :

– آه .. نعم .. ربمــا كان هذا هو السبب .. وهو يفسر كثيراً من الأمور .

- ١٧ -

جلست ايج ليتون جور في محـــل أزياء (امبروزين) الذي تملكه وتديره مدام ديكرس وجعلت تراقب (عـاملات الأزياء) وهن يخطرن أمامها ، وانتهزت الفرصة وراحت تجاذب مدام ديكرس الحديث .

ثم توسمت في إحدى العارضات البساطة والصراحة .

فانتظرتها في الخارج حتى فرغت العارضة من عملها .. وغـــادرت المحـــل .

ودعتها (ايج) لتناول قدح من الشاي ..

واستدرجتها في الحديث ..

وبعد انصراف الفتاة كتبت (إيج) في مذكراتها هذه الكلمات تلخيصاً لنتيجة مهمتها :

« سينثيا ديكرس – من المعتقد أنها في ضائقة مالية – تتلخص أوصافها في أنهـا ذات مزاج نارى ، وطبع شرير – كانت لهـا علاقـــات مع شاب موسر ، ثم أشار عليه السير برثلوميو سترينج بالقيام برحلة بحرية – فلم يبد عليها اي انفعال ، حين ذكر أمـامهـا اسم بانجتون » .

وقالت إيج تناجي نفسها بعد ان فرغت من تدوين تلك البيانات :

– هـذه المعلومات ليست ذات قيمة .. وقد يمكن أن يستخلص منها الدافع لاغتيال السير برثلوميو ، ولكن الصلة واهية ..

ربما يستطيع مسيو بوارو ان يستنبط شيئاً من هذه المعلومات ، أما انا فلا ..

* * *

وكتمت ايج أنفاسها حينما وقع بصرها فجأة على العبارة التـالية منشورة في رأس صحيفة في حانوت قريب منها :

« استخراج جثة من قبرها لاعادة الكشف عليها – نتيجة التشريح الطبي » ..

وأسرعت ايج بابتياع نسخة من الصحيفة .

وفـيما كانت تفعل ذلك ، اصطدمت بامرأة أخرى كانت تحذو حذوهـا .

ولما حاولت ايج ان تعتذر اليها عرفت فيها مس ميلراي سكرتيرة مستر شارلس .

ووقفتا معاً واخذتا تفتشان عن النبأ حتى اهتديتا اليه .

تراقصت الكلمات امام عيني ايج :

(نتيجة تشريح الجثة) .

(الكشف الطبي) .

(النيكوتين) .

وما لبثت ايج ان قالت :

– اذن لقد مات قتلاً !

فقالت مس ميلراي :

- أواه يا عزيزتي ، هذا فظيع ، فظيع .

وتقلصت سحنتها ..

واستطردت قائلة :

- هذا مزعج ، لقد عرفته طول حياتي .

- تعنين مستر بانجتون ؟

- نعم .. فـإن امي تقيم في (جلينج) حيث كان بانجتون راعي كنيستها وقتاً ما .. الحق ان هذا مزعج !

- ١٨ -

قالت انجيلا ستكليف موجهة حديثها إلى زائرها مستر سوتر :

– أخبرني أولاً : ألأنت صديق أم عدو ؟

فأجابها .

– أيحمل بك القاء سؤال كهذا ؟

– نعم يا سيدي العزيز .. هل جئت تزورني من أجل سواد عيني ، كما يقول المثل . أو أنك تريد أن تزعجني بحديث الجرائم والمجرمين ؟

فأجاب سوتر وهو يحني رأسه قليلاً :

– أترتابين في أن الشطر الأول من سؤالك هو الصواب ؟

فردت أنجيلا :

– نعم .. فأنت رجل يدل مظهره على غير مخبره .

– لا .. لا . هذا غير صحيح ، على أني أعترف يا سيدتي العزيزة أن وفاة مستر برثلوميو قد أثارت عنايتي واهتمامي ، ولعلك لا تجهلين اني قديم العهد بمثل هذا الاهتمام ..

– أخبرني عن مسألة واحدة ، هل يوجد شيء من الصحة فيما كانت تقوله تلك الفتاة ؟

– أية فتاة ؟ وماذا قالت ؟

– الفتاة المدعوة ليتون جور ، تلك الفتاة التي سحرهـا مستر شارلس وخلب عقلهـا ، وهي تظن أن ذلك الكهل الذي كان يقيم في مقاطعة كونوول قد قتل كذلك .. وبهذه المناسبة هل صحيح أن مستر شارلس ينوي الاقتران بهذه الفتاة ؟

– لا أعلم ، ولكني كثيراً ما ساءلت نفسي عما حمل مستر كارترايت على عدم الزواج حتى الآن .

فقالت انجيلا .

– انه لم يبد قط ما يدل على أنه يميل إلى الزواج .. لكنه كان دائما رجلا شديد الجاذبية ، وكانوا يلقبونه بساحر النساء .

وتنهدت !.

ثم تطلعت إلى سوتر وقد لمعت عيناها واستطردت :

– إننا كنا فيما مضى .. ولكن لماذا أنكر ما يعرفه كل إنسان ؟ كم كانت حياتنا معاً سعيدة موجبة للبهجة والاغتباط ، على أننا مـا نزال بعد أصدقاء كما كنا فيما مضى ..

واحسب أن هذا هو السبب في أن تلك الطفلة المدعوة ليتون جور ترمقني بشراسة ..

ولعلها تظن أنه ما زالت بيني وبين كارترايت تلك العـاطفة المشبوبة ، اني لم أضع بعد مذكراتي حتى كنت أفصل فيها كل شيء كما فعلت اكثر صاحباتي ، ولو فعلت لكرهت تلك الفتاة ذلك مني ، ولا ريب أنها كانت تصاب بصدمة كبيرة !

وضحكت !

ثم استطردت قائلة :

– فلم لا يأت إلي مستر كارترايت ويسألني في هـذا الموضوع ؟. لا بد أنه يعدني المتهمة رقم (١) ، فهل أنا كذلك حقاً يا مستر سوتر ؟

ما رأيك ؟

فقال سوتر :

- إن الدافع لديك غير متوفر .

- هذا صحيح ، فإني كنت أميل إلى برثلوميو ستربنج ، وكنا ايضا أصدقاء ، وأحب من اجل تلك الصداقة ان اسهم في تعقب قـاتله ، أخبرني كيف يمكن ان اقوم بهذه المعاونة ؟

- ما أظن انك شهدت او سمعت شيئاً له اتصال بهذه الجريمة ؟

فأجابت انجيلا :

- لقد اخبرت رجال البوليس بكل ما أعرفه !

- وما رأيك في رئيس الخدم ؟

- لم اعره اي انتباه ؟

- هل لاحظت شيئاً معيناً في مسلك الضيوف ؟

- كلا .. نعم إن ذلك الشاب المدعو ماندرز قد ظهر فجـأة دون أن يتوقع احد قدومه .

- وهل لاحظت على مستر برثلوميو أنه دهش أيضاً ؟

- نعم .. أظن أنه دهش ، وقد اعرب لي قبيل ذهـابنا إلى قـاعة المائدة عن عجبه من ذاك الحادث قائلاً : « إنها وسيلة مبتكرة لاقتحام البيوت » !

- هل كان مستر برثلوميو في حالة معنوية طيبة ؟

- إلى أقصى حد .

- وما حكاية ذلك الممر السري الذي ذكرته لرجال البوليس ؟

- أظن أنه يبدأ من قاعة المكتبة .. وكان مستر برثلوميو قـد وعدني بأن يريني هـذا الممر ، بيد أنه قضى نحبه قبل ان يتـاح له ذلك .

– وكيف ورد ذكر هذا الممر ؟

– كنا نتحدث عن مكتب ابتاعه حديثا ، فسألته إن كان به درج سري ، وذكرت له اني احب هـذا النوع من الأدراج ، فـأجابني قائلا : كلا ، لا اعرف انه يوجـد بهذا المكتب اي درج سري ، ولكن يوجد بالمنزل ممر سري » .

– الم يذكر مرة امامك ، اسم مريضة لديه تـدعى مدام دي رشبريدجر ؟

– كلا ..

- ١٩ -

دخلت الآنسة موريل ويلز الى غرفة الاستقبال في بيتها حيث كان مستر كارترايت ينتظرها ، فصافحت زائرها وقدمت له لفافة تبغ ثم دعته الى الجلوس ، وقالت له :

- ليت أمي كانت هنا لسرت بلقائك ، فإنها تعبد المسرح وأبطاله ، وهي الآن تشهد احدى المسرحيات في حفلة (الماتينيه) ، الحق أنها سوف تبتهج كثيراً برؤيتك ، وقد جاءت الآنسة ستكليف الى هنا ، فاحتفت بها أمي احتفاء كبيراً .

- هل جاءت انجيلا الى هنا ؟

- نعم .. فهي تستعد لتمثيل احدى رواياتي : (الكلب الضاحك).

- اني قرأت عنها ، وهي قصة محبوكة ، أيمكنك ان تعرفي سبب قدومي اليك اليوم ؟

- ما اظن انك جئت فقط لرؤية شخصي الضعيف .

- ان سوتر هو الذي أوحى الي بالمجيء ، وهو يظن انه اذا كان ثمة شيء جدير بالملاحظة في تلك الليلة التي قضيتها في (ميلفورت أبي)

- منزل السير برثلوميو - فلا يمكن ان يفوتك ..

- لا ريب ان اقرر اني ابديت اهتماماً كبيراً حينذاك ، فإنه لم يتح لي من قبل ان أر جريمة عن كثب ، وكان من الطبيعي وانا اقوم بمهمة

التأليف ان احاول ما استطعت ، ملاحظة كل ما حولي !

اذن هذا هو السر في فضول الآنسة ويلز وتحشرها فيما لا يعنيها .

وقال شارلس :

– وماذا لاحظت ؟

– آه .. لا شيء .. لا شيء يستحق الاهتمام يا مستر شارلس .. وكل ما تيسر هو بعض ملاحظات عن أخلاق الناس .

– الم تلاحظي أشياء مادية ؟

– كلا .. آه .. الواقع اني لاحظت شيئاً ، وكان يحسن بي ان افضي به الى رجال البوليس ، ولكنني نسيت .

– وما هو ؟

– بشأن رئيس الخدم .. فقد رأيت فوق معصمه الأيسر شامة ، لاحظت ذلك حينما كان يقدم لي الطعام ، وأحسب ان مثل هذا النبأ قد يكون له بعض الفائدة .

– بل ان له اكبر الفائدة ، فإن رجال البوليس يجدون في أثر ذلك الرجل المدعو أوليس .

– ولكن أين كانت تلك العلامة بالضبط ؟ وما حجمها ؟

– أرجو أن تبسط ذراعك

وأطاع مستر شرلس .

فأشارت باصبعها إلى الموضع وقالت .

– كانت العلامة هنا ، وهي في حجمها تقارب البندقة

فقال لها وهو يحجب ذراعه :

– شكراً لك ، هذا وصف واضح .

– أتظن أنه يجدر بي أن أكتب إلى رجـال البوليس وأطلعهم على الأمر ؟

– بلا ريب ، فقد يكون له قيمة في اقتفاء آثار الرجل .

واستطرد بعد صمت قصير :

– ألم يذكر مستر برثلوميو إسم سيدة تدعى مدام دي رشبريدجر ؟

– كلا .. لا أظن .

– أليس هناك ما يمكن أن تفضي به إليّ ؟ أعني شيئاً مما يدور حول أحد الضيوف !

– أخشى أن أقول أنه ليس لدي ما يمكن أن أدلي به اليك يا مستر شارس .

فقال وهو ينهض :

– حسناً ، لا ريب أن سوتر سوف يشعر بشيء من الخيبة .

فقالت :

– إني آسفة ..

– إلى اللقاء يا آنسة ويلز ، ومعذرة إذا كنت أزعجتك ، ولا تنسي أن تخطري البوليس بأمر تلك الشامة التي على ساعد رئيس الخدم الأيمن .

– كلا لن أنسى ذلك .

– حسناً . إلى اللقـاء ، ولكن صبراً لحظة . هل قلت أن الشامة كانت على الساعد الأيمن ؟ إنك ذكرت منذ لحظة أنها كانت على الساعد الأيسر ؟

– هل ذكرت ذلك ؟ هذا خطأ مني ..

– أي ساعد إذن ؟

– دعني أتذكر .. كنت جالسة هكذا .. أما هو .. عفواً يا مستر شارلس .. أرجو أن تقدم إليّ هـذه الصحفة النحاسية ، كما لو كانت صحفة طعام .. تعال من ناحية اليسار ، هذا حسن ، شكراً لك ، إني الآن على تمام الثقة ، كانت على الساعد الأيسر كما قلت أولاً .

وهنا ودعها مستر شارلس المرة الثـالثة ، والتفت إلى الوراء وهو يغلق الباب .

فوجد أن الآنسة ويلز لا تنظر اليه .

كانت واقفة حيث تركها ، وقد راحت تحملق نحو النيران المستعرة في الموقد وعلى شفتيها ابتسامة ارتياح يشوبها الخبث .

فقال لنفسه :

– هذه المرأة تعرف شيئا ، أقسم انها تعرف شيئا ولا تحب ان تبوح به .. فما هذا الشيء الذي تعرفه ؟

- ٢٠ -

قصد سوتر إلى المصنع الذي يعمل فيه أوليفر ساندرز وأرسل اليه بطاقته مع أحد الخدم.

فعاد اليه الخادم بعد لحظة، وذهب به إلى غرفة صغيرة حيث رأى أوليفر جالساً أمام طاولة للكتابة.

ونهض الشاب وسلم على سوتر وهو يقول

- إني أشكر لك تفضلك بزيارتي..

غير أن ملامح وجهه كانت تقول:

- ما أثقلها زيارة!

وجلس سوتر على كرسي وسأل:

- هل قرأت الصحف اليوم؟ لقد ثبت بعد استخراج جثة بالجتون أن الرجل مات مسموماً بالنيكوتين.

- آه.. إني قرأت هذا النبأ، سوف تسر له (إيج)، فقد كان من رأيها دائماً أن في الأمر جريمة.

- ألم تهتم لهذا النبأ؟

فهز الشاب كتفيه وقال:

- إن القتل بالسم من الجرائم المزعجة، بل من الجرائم التي تدل على اللؤم والخسة.

فقال سوتر :

- لقد جئت لأعرف سر حادث التصادم الذي وقع لك في (ميلفورت أبي) فهل لديك تفسير معقول له ؟

فقال الشاب ببطء :

- لدي تفسير ، لا أعلم هل هو معقول او غير معقول .

- هل تحب أن تعرف رأيي في هذا التفسير ؟

فسكت أوليفر قليلا ..

ثم قال :

- إني ذهبت الى هناك ، بالطريقة التي اقترحها علي مستر برثلوميو .

فهتف سوتر في دهشة :

- ماذا ؟

- هذا غريب الى حد ما .. اليس كذلك ؟ ولكنها الحقيقـــة ، فقد تسلمت منه رسالة يقترح علي فيها أن أصطنع حادثا ، وأن التمس ضيافته ، وقال لي انه لا يستطيع ابداء الأسباب كتابة ، ولكنه سيوضح لي كل شيء في اول فرصة .

- وهل اوضح لك كل شيء ؟

- كلا .. فقد ذهبت الى هناك قبيل موعد العشاء فلم أقابله وحده ، وبعد العشاء توفي الرجل .

- وهل هذه الرسالة معك ؟

- كلا اني مزقتها بناء على رغبة السير برثلوميو لأنني وجدتني حيال مغامرة طريفة غير مألوفة في الحياة المادية المملة ..

ثم استطرد بعد صمت قصير :

- أظن ان من الأفضل الافضاء بكل شيء ، لأن تلك المرأة لا يمكن ان تلزم جانب الصمت .

فنظر اليه سوتر متسائلا ..

وأردف الفتى قائلا :

– حدث في صباح اليوم التالي لوقوع الجريمـــة بينما كنت أتحدث إلى الآنسة ويلز إني أخرجت من جيبي حافظة أوراقي فسقط منهـا شيء ، فالتقطته الآنسة ويلز وأعادته إليّ .

– وما هو هذا الشيء ؟

– هو قصاصة من إحدى الصحف تتضمن كلاما عن النيكوتين كسم مميت ، ومن سوء الحظ أن الآنسة ألقت نظرة سريعة على مضمون القصاصة قبل ان تردها إليّ .

– وكيف اتفق ان أثار النيكوتين اهتمامك إلى هذا الحد ؟

– إنه لم يثر اهتمامي قط ، ولا بد أن يكون عنوان الموضوع قد لفت نظري في وقت ما ، فاقتطعته من الجريدة ووضعت القصاصة في حـافظة أوراقي ، ولكني لا أذكر بالتحديد متى وكيف فعلت ذلك .

جلس بوارو فى مقعد كبير بالجناح الخاص به في فندق ريتز وراح يصغي.
واستندت (إيج) إلى أحد المقاعد ، ووقف مستر شارلس أمام الموقد ،
وجلس سوتر وراح يرقب تلك المجموعة .

قالت إيج :

– لقد منيت بالفشل على طول الخط .

فهز بوارو رأسه بلطف وأجاب :

– كلا .. كلا .. أنت تبالغين ، فقد استطعت جمع طائفة طيبة من المعلومات .

فقال مستر شارلس :

– إن الآنسة ويلز تعرف شيئاً ، اقسم انها تعرف شيئاً .
كذلك تعرف مدام ديكرس أشياء ، فقد كانت في أشد الحاجة إلى المال فأفسد عليها مستر برتلوميو فرصة سانحة للحصول على ما تريد من الشاب الغني المريض الذي وقع في شباكها !
وصمت مرة أخرى فسألته إيج :

– والآن ماذا يجب ان نفعل ؟

فابتسم بوارو واجاب :

– هناك شيء واحد نستطيع أن نفعله ، وهو أن نفكر .

فهتفت إيج في اشمئزاز :

– لا شيء غير التفكير ؟

– طبعا .. نفكر فقط ، وبالتفكير تحل جميع المعضلات .

– ألا تستطيع أن تفعل شيئا ؟

– إننا نترك العمل لك يا آنسة ، ففي استطاعتك مثلا أن تجري تحقيقا في (جلينغ) حيث قضى مستر بانجتون عدة أعوام ، تقولين أن والدة مس ميلراي تقيم هناك ، وانها مصابة بالفالج ، ومن كان مثلها يسمع كل شيء ولا ينسى شيئاً ل فاذهبي اليها واستجوبيها فقد تقفين منها على جديد .

فسألته في إلحاح :

– وأنت .. اليس في نيتك أن تفعل شيئا ؟

– ما دمت تصرين فسأحاول ، ولكن دون أن أبرح مكاني ، سأقيم لكم حفلة شمبانيا !

– حفلة شمبانيا ؟

– نعم .. وسأدعو اليها السابق ديكرس وزوجته ، والآنسة ستكليف والآنسة ويلز ، وأوليفر ماندرز ووالدتك وجميع الموجودين هنا الآن .

– مرحى ، أنا واثقة الان ان أمر سيقع في هذه الحفلة اليس كذلك ؟

– سوف نرى ، والان أريد ان انفرد بالسير شارلس ، فعندي مسألة أحب أن أكلمه فيها .

* * *

اقيمت حفلة الشمبانيا في مساء يوم الاثنين ، وحضرها جميع الذين دعوا اليها ، وعندما التأم جمعهم أجالت الانسة ستكليف البصر حولها وقالت وهي تبتسم :

- اني واثقة يا مسيو بوارو من انك ستلخص لنـــا الأحداث ببراعتك المعهودة ، ثم تشير باصبعك نحوي فجأة فتقول : « انت التي ارتكبت الجريمة » فيوافقك الجميع ، وعندئذ أنفجر باكية وأعترف بكل شيء ، أواه يا مسيو بوارو انك ترعبني !

فقال بوارو وهو يقدم اليها كأساً :

- هذه حفلة ودية بسيطة ، فيجب ألا نتكلم فيهـــا عن القتل وسفك الدماء والسم .

ورفع الجميع كؤوسهم ، وقد ظهرت على وجوههم علامـــات الطمأنينة المفتعلة ، كان كل منهم يتظاهر بقلة الاكتراث .

فقال بوارو :

- إنكم تتناولون الان افخر أنواع الشمبانيا الفرنسية ، ان الشراب هو الشراب . آه .. ماذا حدث ؟

ذلك أنه سمع كما سمع الاخرون صيحة مختنقة ..

واتجهت جميع الأنظار الى المستر شارلس الذي وقف يترنح وقد انقلبت سحنته ، ثم سقط الكأس على يده على السجادة التي تغطي ارض الغرفـــة ، وتراجع إلى الوراء خطوة او خطوتين ثم سقط على الأرض .

سادت لحظة دهشة وذهول ، ثم صرخت الانسة ستكليف وصاحت ايج :

- شارلس .. شارلس !

وأرادت أن تشق طريقها نحوه ، ولكن سوتر أمسك ذراعها برفق !

وصرخت الليدي ماري :

- يا الهي ضحية جديدة .

وهتفت الانسة ستكليف .

- لقد تسمم أيضاً ، هذا مخيف .

أما بوارو فإنه أسرع اليه وركع بجانبه وفحصه ، ثم نهض واقفاً وراح

يزيل الغبار عن ركبته .

وساد صمت عميق لم تكن تسمع خلاله غير تنهدات الانسة متخليف .

وبدأ بوارو كلامه فقال :

ـ أيها الأصدقاء ..

ولم يزد على ذلك ، لأن ايج انفجرت قائلة له :

ـ ايها المغفل ، أيها الأحمق القصير القامة .. أتزعم أنك بارع وعظيم ثم تسمح بوقوع هذا ، انها جريمة أخرى ترتكب تحت سمعك وبصرك ؟ انك انت الذي قتلت شارلس .. انت ، انت ، انت .

فهز بوارو رأسه بحزن وقال :

ـ هذا صحيح يا آنسة ، اني قتلت السير شارلس ، ولكني قاتل من طراز خاص ، في مقدوري ان اقتل ، ولكن في مقدوري أن أرد الحياة .

ثم تحول عنها وقال بصوته الهادىء العادي :

ـ انك ممثل بارع يا مستر شارلس ، فدعني اهنئك .

فنهض الممثل العظيم واقفاً وهو يضحك ، وأحنى قامته للقوم في شيء من التهكم ..

فهتفت ايج :

ـ مسيو بوارو ، انت ، ايها الوحش !

وصاحت انجيلا :

ـ وانت يا شارلس ، أيها الشيطان .

فرفع بوارو يده طالباً من مدعويه التزام الصمت وقال :

ـ ايها الأصدقاء .. اني ارجوكم المعذرة ، فقد كان من الضروري تمثيل هذه المهزلة كي اثبت لكم ، وأثبت لنفسي ضمناً ، حقيقة كان عقلي يحدثني بأنها صحيحة ، فاصغوا الي ، اني وضعت بين هذه الكؤوس كأساً تحتوي ماء قراحاً ، وهذه الكؤوس مصنوعة من الزجاج السميك على مثال الكؤوس

التي يمتلكها مستر برثلوميو ومستر شارلس كارترايت ، واذا وضع بها قليل من سائل لا لون له ، كان من المتعذر ملاحظة وجود هذا السائل .

تصوروا اذن كأس السير برثلوميو ، بعد ان وضعت هذه الكأس على المائدة ، استطاع بعضهم ان يدس فيها كمية من النيكوتين النقي .

والواقع انه كان في مقدور اي انسان ان يضع النيكوتين في الكأس ، كما كان ذلك في مقدور رئيس الخدم ، او إحدى الخادمات او احد المدعوين ، فلما ملئت الكؤوس ، ازدرد السير برثلوميو محتويات كأسه ومات .

وقد دبرنا اليوم مأساة ثالثة ، ولكنها كانت في هذه المرة مأساة مفتعلة ، دبرتها مع السير كارترايت ، وطلبت اليه ان يقوم بدور الضحية ، وقد قام بالدور خير قيام .

والان .. افترضوا ان الحادث لم يكن مهزلة مدبرة ، وافترضوا ان كارترايت مات حقاً ، فما هي اول خطوة يخطوها البوليس ؟

فهتفت انجيلا :

ـ انهم يبدأون بفحص محتويات الكأس .

فمس بوارو الكأس بطرف حذائه وقال :

ـ لنفترض اني وضعت بالكأس نيكوتين ، فمن رأيكم اذن ، أن رجال البوليس يفحصون الكأس .. ولا يلبثون أن يجدوا فيها آثار النيكوتين ؟

ـ طبعاً .

فهز بوارو رأسه وقال :

ـ إنكم على خطأ ، فإن رجال البوليس لا يجدون في الكأس أي اثر من آثار النيكوتين .

فحملقوا في وجهه بدهشة :

وأردف وهو يشير باصبعه إلى الكأس الملقاة على الأرض :

– هذه ليست الكأس التي ازدرد كارترايت محتوياتها .

وأخرج من جيبه كأساً وقال :

– انه شرب من هذه الكأس ، فالمسألة كما ترون غاية في البساطة ، ولا تحتاج إلا الشيء قليل من خفة الحركة .؟ والحيلة التي أنفذتها تتطلب شيئاً واحداً ، هو توجيه الأنظار إلى ناحية أخرى ، فقد كان من الطبيعي وقد سقط مستر شارلس أن تتجه اليه جميع الأنظار .

لقد حاول كل انسان هنا أن يقترب منه ، ولم يكن هناك من يهتم بهركيول بوارو أو ينظر اليه ، فانتهزت الفرصة واستبدلت كأساً بكأس دون أن يراني احد .

وقد مرت في (عش الغراب) ، وفي (ملفورت آبي) لحظـــة كالتي مرت بكم الآن ، لحظة اتجهت فيها جميع الأنظار إلى الضحية دون أي انسان آخر من المدعوين وهذا هو السبب في ان التحليـــل أثبت خلو الكوكتيل والنبيذ من كل أثر للسم .

فصاحت إيج :

– ومن ذا الذي استبدل الكأس ؟

فنظر اليها بوارو بحدة واجاب :

– هذا ما يزال علينا أن نعرفه !

ثم أجال البصر بين المدعوين وأردف :

– لي كلمة أخرى أيها السادة ، فقد مثلنا الليلة إحدى المهازل ، ولكن هذه المهزلة قد تمثل جدياً فتصبح مأساة ، وهناك ظروف وأحوال يستطيع فيها القاتل ان يضرب ضربة ثالثة ، فإذا كان بينكم من يعرف شيئاً عن الجريمتين فإني أرجو ان يصرح بما يعرف . إن السكوت الآن كثير الخطر ، لأنه قد يؤدي إلى جريمة جديدة !

ولكن الجميع لزموا الصمت ، فتنهد بوارو وقال :

- ليكن ما تريدون إذن ، فقد حذرتكم .
وانصرف المدعوون ولم يبق غير إيغ وشارلس وسوتر .
قال الأخير محدثاً بوارو :
- هل كانت غايتك الوحيدة ان تجرب نظرية استبدال الكأس ؟
- بل كانت لي غاية أخرى ؟
- ما هي ؟
- هي أن أرى ما يبدو على وجه شخص بعينه حين يسقط شارلس ميتاً !
فسألته إيغ بجدة :
- ومن هو هذا الشخص ؟
- ذلك سر من أسراري .
- وهل لاحظت وجه الشخص ؟
- نعم .
- وماذا رأيت ..
فهز بوارو رأسه ولم يجب .
قال سوتر : ألا تجيبنا ؟
- اني رأيت على وجهه علامات الدهشة القوية
فهتفت إيغ بجدة :
- اتعني انك تعرف القاتل ؟
- ربما ..
- إذن .. فأنت تعرف كل شيء ؟
- كلا .. الأمر على العكس ، إني لا أعرف شيئاً على الاطلاق ، فأنا لا أعرف مثلا لماذا قتل ستيفن بابنجتون ، وليس في استطاعتي ان اثبت شيئاً قبل ان اعرف لماذا قتل ..
وفي تلك اللحظة سمع القوم طرقاً على الباب ودخل احد الخدم وفي يده

برقية قدمها إلى بوارو .

وما كاد بوارو يفضها ويقرأ محتوياتها حتى تغيرت ملامح وجهه ، وقدم البرقية بدوره إلى مستر كارترايت فقرأ ما فيها بصوت مرتفع .

« أرجو مقابلتي حالاً ، لأقدم اليك معلومات هامة عن حادث موت برثلوميو ستربنج » . مرغريت رشبريدجر .

فصاح مستر كارترايت :

ـ مرغريت رشبريدجر ؟ إذن فقد صح ما ذهبنا اليه من أن لهذه المرأة شأناً في القضية .

ـ هذه البرقية تزيد الأمور تعقيداً ، ولكن يجب على كل حال أن نسرع لمقابلتها ..

فسأله سوتر :

ـ هل نذهب جميعاً ؟

فقالت ايغ : اني اتفقت مع كارترايت على الذهاب إلى جلينغ .

ـ حسناً .. إذهبا إلى جلينغ ، وسأذهب مع مستر سوتر لمقابلة السيدة رشبريدجر ..

* * *

وصل كارترايت وايغ إلى (جلينغ) بعد ظهر اليوم التالي وزارا السيدة (ميلراي) في بيتها ، فألفياها كما قيل لهما عليلة ضعيفة مصابة بالفالج ولا تستطيع ان تبرح مقعدها .

وقد القى عليها كارترايت عدة اسئلة عن القس بانجتون وعائلته ، لكنه لم يقف منها على مزيد . فشكرها وانطلق مع ايغ إلى الكنيسة لفحص سجلات المواليد والوفيات والزواج .

قالت ايبغ وهي تقرأ الأسماء في احد السجلات :

– يا لله ما اعجب بعض هذه الأسماء !

– ليس بينها ما هو اعجب من اسمي ؟

– كارترايت ؟ انه ليس عجيباً .

– لا اعني اسم كارترايت فهذا هو الاسم الذي اشتهرت به كممثل ثم تسميت به رسمياً .

– اذن ما اسمك الحقيقي .

– اسمي الحقيقي شارلس ماج .

وصمت لحظة ثم اردف :

– لماذا لا تناديني دائماً باسمي الشخصي (شارلس) فقط .. اي بحذف لقب مستر ؟!

– سأفعل ذلك .

– انك فعلت ذلك امس حين حسبت اني مت !

وتردد لحظة اخرى ثم قال :

– اصغ اليّ يا ايبغ ، اني اكره اللف والدوران ، وسأتحدث اليك في صراحة ، اريد ان اعرف اينا تختارين ، انا .. او اوليفر ماندرز ؟ فقد خيل الي امس انك حزمت امرك على اختياري .

– صحيح ..

فصاح :

– ايتها المخلوقة العجيبة !!

- ٢٢ -

تقابل بوارو وسوتر قبل رحيلهما مع الآنسة ليندون سكرتيرة مستر برثلوميو، ووجدا منها رغبة لأن تدلي اليهما بكل ما عندها من معلومات.

وقد وصل بوارو وسوتر إلى المصحة حول الظهر وهناك طلبـــا مقابلة رئيسة الممرضات، فأسرعت اليهما هذه الأخيرة.

ولاحظ عليها سوتر الاضطراب، فقال لها:

- أرجو الا أكون قد غبت عن ذاكرتك، فقد جئت إلى هنا مرة مع مستر كارترايت عقب وفاة مستر برثلوميو.

- آه .. صحيح .. اذكر ذلك، واذكر أن مستر كارترايت استفسر يومئذ عن السيدة رشبريدجر المسكينة.

- اسمحي لي بأن أقدم اليك صديقي هركيول بوارو ..

ثم قدم اليها برقية السيدة رشبريدجر فدهشت وقالت:

- لا أعلم في الواقع كيف أمكن أن تصلكم برقية منها كل هذا غامض، لا ريب أن هناك شخصاً مخبولاً يفعل كل هذا. وها هم رجال البوليس ما زالوا يحققون.

- رجال البوليس!

- نعم .. إنهم هنا منذ الساعة العاشرة ..

- وهل نستطيع مقابلة السيدة رشبريدجر؟ ما دامت قد طلبت الينا أن

- السيدة رشبريدجر ؟ إذن فأنت لا تعلم ما حدث يا مستر سوتر ؟

فسألها بوارو بجدة :

- ماذا حدث ؟

- إن هذه السيدة المسكينة قد ماتت ..

- ماتت يا للشيطان ! هذا يفسر كل شيء ، نعم ، يفسر كل شيء ، كان يجب ان اتوقع ذلك ، ولكن كيف ماتت ؟

- ماتت بطريقة غامضة ، فقد تسلمت اليوم بطريق البريد علبة شيكولاته .. ولكنها لم تكد تتذوقها حتى سقطت ميتة قبل أن نتمكن من اسعافها ، فاستدعى الطبيب رجال البوليس ودل فحص قطعة الشيكولاتة على أن طبقتها الخارجية مسممة .

- وما نوع السم الذي استخدم ؟

- يعتقد رجال البوليس انه النيكوتين

فغمغم بوارو :

- النيكوتين ، نعم النيكوتين مرة أخرى ! يا لها من ضربة جريئة ..

- لقد جئنا متأخرين ، فلن نعلم ماذا كانت تريد هذه المسكينة أن تبوح لنا به ..

فطلب بوارو إلى رئيسة الممرضات أن تذهب بهما إلى غرفة رشبريدجر وهناك رأيا المرأة المسكينة ممددة في الفراش .

كانت صفراء اللون سوداء الشعر .. تناهز الأربعين من عمرها

قال سوتر :

- لا بد ان بعضهم قد علم أنها تنوي الكلام فقتلها ، نعم إنها قتلت كي لا تقول ما تعلم

فأطرق بوارو وتمتم :

- أو كي لا تقول ما لا علم لها به ، يجب ان تكون هذه آخر ما يرتكب

من جرائم القتل بالنيكوتين ..

فسأله سوتر :

– هل تؤيد هذه الجريمة رأيك في شخصية القاتل ؟

– نعم .. بيد ان هذه الجريمة دلتني على شيء آخر ، هو ان القاتل أخطر مما كنت اتصور ، واننا يجب ان نكون على حذر .

وقد وجدا المفتش كروسفيلد يقوم بالتحقيق في المصحة فقصدا معه إلى مكتب التلغراف ، وهناك علما ان الذي حمل اليه البرقية التي أرسلت إلى بوارو هو غلام في العاشرة من عمره .

وقد بعث سوتر إلى" مستر كارترايت ببرقية ينبئه فيها بموت السيدة رشبريدجر ، ثم استأنف مع بوارو ومفتش البوليس التحقيق .

وحول الساعة السادسة مساء عثروا بالغلام الذي حمل صيغة البرقية إلى مكتب التلغراف ، وقد قرر الغلام أن رجلاً لا يعرفه صادفه في الطريق وأعطاه البرقية وقال له ان امرأة في المصحة القت من نافذتها بصيغة البرقية ملفوفة حول قطعة من النقود .

ثم اعطاه شلناً وطلب اليه ان ينطلق بصيغة البرقية" إلى مكتب التلغراف ففعل .

وقد بحث مفتش البوليس عن الرجل الذي تحدث عنه الغلام ، لكنه لم يقع له على أثر .

وعاد بوارو وسوتر حول منتصف الليل فقابلهما السير كارترايت .

واجتمع الرجال الثلاثة وبدأوا في تقييم الموقف على ضوء هذا الحادث الجديد !

قال بوارو :

– هناك وسيلة واحدة لحل غوامض هذه القضية وهي التفكير ، اما السفر وسؤال هذا الشخص او ذاك ، فما لا يجدي نفعاً .

– إذن ماذا تنوي ان تفعل ؟

– اريد ان افكر ، أطلب ٢٤ ساعة فقط للتفكير .

فهز كارترايت رأسه وقال وهو يبتسم :

– هل يوصلك التفكير الى معرفة ما كانت هـذه المرأة تحب ان تخبرك به لو انها بقيت على قيد الحياة ؟

– اعتقد ذلك ..

– أتمنى لك التوفيق اذن .. آه نسيت امراً ، اني جد قلق على الآنسة ويلز ..

– ماذا اصابها ؟

– انها اختفت ، فقد كنت احس دائماً – كما انبأتك – بأنها تعلم أكثر مما ذكرت لنا ، فخطر لي ان اذهب اليها وأحاول استدراجها الى الكلام ، ولما وصلت الى بيتها قيل لي انها رحلت في الصباح ولم تعـد ، ووجدت أهلها في اشد حالات القلق .

فقال بوارو

– هـــذا عجيب .. فقد حذرتها ، وحذرت جميع الذين اشتركوا في حفلة الشمبانيا التي اقمتها ، الا تقول انني طلبت الى الموجودين جميعاً أن يصرحوا بما يعلمون ؟

– نعم .. نعم .. ولكن هل تعتقد انها كذلك قد ..

– ان لي رأياً اؤثر ان احتفظ به الآن .

– كل هذا عجيب ، فقد اختفى رئيس الخدم اولاً ، ثم اختفت الآنسة ويلز .. ولكن ترى اين ذهب اوليس ؟ المدهش ان رجـــال البوليس لم يستطيعوا حتى الان ان يقفوا له على اثر .

فقال بوارو :

– انهم يبحثوا عن جثته في المكان الصحيح ..

- إذن فأنت ترى رأي ايبغ ، فهل تعتقد أنه مات ؟
- إن أرليس لن يرى على قيد الحياة مرة أخرى .

* * *

جاءت إيبغ على غير موعد في الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي لمقابلة بوارو ..

وما كادت تراه حتى ابتدرته قائلة :

- يجب أن تهنئني يا مسيو بوارو .. سوف أدعى مدام (مساج) قريباً .

فلما نظر و اليها بوارو في شيء من الحيرة قصت عليه ما دار بينها وبين مستر كارترايت

ثم أكملت

- هنئني يا عزيزي وتمن لي حياة سعيدة هنيئة .

فقال بوارو :

- أتمنى لك سعادة دائمة يا آنسة .

فأجابت إيبغ :

- شكراً لك ، والآن سأتكلم في الغرض الذي جئت من أجله .. اعلم اني فكرت في قصاصة الورق التي سقطت من حافظة أوراق ماندرز ، أعني تلك القصاصة التي التقطتها الآنسة ويلز من الأرض وناولتها له ، ويبدو لي إما أن ماندرز يكذب حين يقول انه لا يتذكر شيئاً عن وجودها ، وإما أن القصاصة لم توجد على الاطلاق ، والتفسير لذلك ان شيئاً ما قد سقط من ماندرز ، فادعت تلك المرأة أنه القصاصة المزعومة .

– ولم فعلت ذلك يا آنسة ؟

– لأنها أرادت أن تتخلص منها ، فنسبتها إلى ماندرز .

– أتعنين أنها الجانية .

– نعم . .

– وما هو الدافع الذي يحدوها إلى القتل ؟

– لا فائدة من هذا السؤال ، ولا يمكن أن أرى إلا أنها مختلة الشعور !

– هو ما تقولين . . ولا يخلق بي أن ألقي عليك هذا السؤال . . وإنما يجدر بي أن أسأل نفسي « ما هو سبب اغتيال بالمجتون » ؟ ويوم أوفق إلى جواب لهذا السؤال ، فلن يبقى في القضية أدنى غموض .

– إلى الملتقى إذن . وأرجو ألا تؤاخذني على ازعاجي إياك ، فإني ذاهبة لمشاهدة تجربة المسرحية التي وضعتها الآنسة ويلز خصيصاً للممثلة انجيلا ستكليف ، فسوف تمثل غداً لأول مرة

فصاح بوارو قائلاً .

– يا إلهي !

– ماذا جرى ؟ هل حدث شيء ؟

– نعم . . لا ريب في ذلك . . فقد خطرت لي فكرة رائعة إني أعمى لا أبصر

فتطلعت إيغ إلى بوارو في دهشة ، ولما فطن إلى ما بدا منه ضبط عواطفه وربت على كتفها وقال :

– إذا كنت تحسبيني مجنوناً فما أنا كذلك ، فإني سمعت ما قلت ، إنك ذاهبة لمشاهدة تجربة رواية (الكلب الضاحك) التي ستقوم فيها الآنسة ستكليف بالدور الأول . إذهبي إذن . . ولا تهتمي بما صدر مني من

أقوال .
وخرجت إيغ وهي لا تدري ماذا تقول ..

* * *

وما أن أصبح بوارو بمفرده حتى أخذ يمشي في الغرفة جيئة وذهاباً وهو يتمتم بعبارات مبهمة وقد لمعت عيناه ..
وراح يحدث نفسه قائلاً :

ـ نعم .. هذا يفسر كل شيء ، انه دافع عجيب ، بل هو من أعجب الدوافع ، وهو من لون طريف لم أصادف مثله في كل أطوار حياتي ، ومع ذلك فهو دافع معقول ، يتفق مع كافة الظروف والوقائع ، فقد نفذت إلى أعماق القضية ولا يبقى إلا العمل .
وتناول قبعته ومعطفه وهبط الى الطابق الأرضي بالفندق وطلب احدى سيارات الأجرة وذكر للسائق عنوان مستر كارترايت .

وهناك صعد الى الطابق الثاني وما لبث أن رأى مس ميلراي تخرج من (الشقة) التي استأجرها مستر كارترايت .
فما كادت السكرتيرة تبصره حتى انتفضت وقالت :
ـ هذا أنت ؟
فأجاب بوارو باسماً :
ـ نعم أنا بعيني !

ـ أخشى انك لن تجد سير شارلس ، فقد ذهب الى مسرح البابيلون مع الانسة ليتون جور .
ـ ليس مستر كارترايت هو ما أبحث عنه ، اني أبحث عن عصاي التي أظن اني نسيتها هنا .

– فهمت ، ارجو ان تضغط زر الجرس ، فتستقبلك تمبل ، اني ذاهبة لادراك القطار ، فسأسافر إلى مقاطعة (كنت) لزيارة والدتي .

وهبطت الدرج مسرعة وهي تحمل في يدها حقيبة صغيرة .

وما كادت مس ميلراي تغيب عن نظر بوارو حتى ترك الغرض الذي قدم من أجله ، وهبط الدرج مسرعاً .

فلما وصل الى الباب الخارجي رآها تستقل سيارة ، والتفت حوله فشاهد سيارة ثانية ، فأشار الى سائقها بالتوقف ، ثم استقلها وطلب اليه أن يتبع السيارة الأولى .

ولم يدهش بوارو حين رأى السيارة التي استقلتها السكرتيرة تقف آخر الأمر عند محطة بانجتون ، وان كانت لا تقوم من هذه المحطة خطوط حديدية الى مقاطعة (كنت) ، فسار الى شباك التذاكر وطلب بطاقة الى (لوموث) .

ووصل القطار الى محطة لوموث حوالي الساعة الخامسة ، وكان الظلام قد اخذ يرخي سدوله ، فتأخر بوارو قليلاً حتى خرجت مس ميلراي ، ثم سمع خفير المحطة يحييها قائلاً :

– إننا لم نتوقع قدومك يا مس ميلراي .. هل سيأتي سير شارلس ؟

– اني جئت لغرض عاجل .. وسوف أعود في صباح الغد . كلا .. لا اريد مركبة ، شكراً لك ، أفضل ان اسير .

واخذت مس ميلراي تسير بخفة في الطريق المتعرج يتبعها بوارو عن كثب . فلما وصلت الى (عش الغراب) قصدت الى الباب الخلفي وفتحته بمفتاح كانت تحمله في حقيبتها ، ثم دخلت فتركت الباب مفتوحاً خلفها .

وما لبثت ان عادت بعد نحو دقيقتين وهي تحمل في يدها مفتاحاً يعلوه الصدأ ومصباحاً كهربياً ، فتراجع بوارو واختبأ في ظل الشجرة وأخذ يراقبها .

وراحت مس ميلراي تتقدم خلف المنزل في طريق مرتفع حتى وصلت الى كوخ صغير ، فتحت بابه بمفتاح كان معها ، ونفذت الى الداخل مستعينة بضوء المصباح الكهربائي .

وأسرع بوارو خلفها ، ثم انسل الى الداخل في خفة وهدوء فرأى على ضوء المصباح بعض الأنابيب الزجاجية ، وموقداً غازياً ، واجهزة مختلفة .

فتناولت مس ميلراي قضيباً من الحديد ورفعته فوق الأنابيب الزجاجية وهمت بتحطيمها .

وفجأة احست بيد قبضت على ذراعها .

فالتفتت حولها في ذعر ..

فنظر اليها بوارو وهو يقول :

- لا يجب أن تفعلي ذلك يا مس ميلراي ، فإن ما تحاولين تدميره هو الدليل ..

جلس بوارو في مقعد وثير تحت ضوء المصباح ، بينما جلس كارترايت وسوتر وإيغ ينصتون اليه وهو يتحدث بصوت الحالم ، وكأنه يخاطب الفضاء

قال بوارو :

– إن مهمة البوليس السري تنحصر بترتيب وقـائع الجريمة ، ولهذا يتعين عليه أن يبني الحقائق بعضها فوق بعض كما يبني الانسان منزلاً من ورق اللعب ، فإذا وجد ان هذه الحقائق لا تنسجم ولا تـأتلف ، فعليه أن يعيد بناءها من جديد ، وإلا تقوض البناء وانهار من أساسه !

إنني أتحدث الان عن مقتل ستيفن بابنجتون الذي حـدث في أغسطس الماضي . ففي تلك الليلة المعهودة كان السير كارترايت أول من أثار موضوع قتل هذا الرجل .

وأنا لم اتفق معه في هذا الرأي ، فـإني لم اشأ ان أصدق أن رجلاً كهذا يمكن أن يموت قتلاً ، وانه يمكن دس السم لشخص معين في ظروف كظروف تلك الليلة .

والان أقرر أمامكم أنه كان على صواب وانني أخطـأت ، وسبب هذا الخطأ إني كنت أنظر إلى الجريمة نظرة غير واقعية ، ولم تتغـير نظرتي واقترب من الحقيقة إلا منذ أربع وعشرين سـاعـة فقط ، ولا ريب أن مقتل ستيفن بابنجتون يبدو في ضوء هـذا التغيير معقولاً ،

ومكننا ..

على اني سأترك هذه النقطة مؤقتاً وانتقل بكم خطوة خطوة في الطريق الذي سلكته بنفسي ، فأصف وفاة بانجتون بأنها الفصل الأول من هذه المأساة التي شملتنا ، وقد اسدل الستار على هذا الفصل بمغادرتنا جميعاً (عش الغراب) .

وبدأ الفصل الثاني من المأساة في مونت كارلو حينما اطلعني مستر سوتر على النبذة التي وردت في الصحف عن وفاة السير برثلوميو ستريتنغ

فاتضح لي على الفور ان شارلس كان مصيباً فيما ذهب اليه وإني كنت مخطئاً ، وان كلاً من بانجتون وستريتنج قد لقيا حتفهما قتلاً ، وان الحادثين إنما هما حلقتان في جريمة واحدة ، ثم وقعت اخيراً جريمة ثالثة أضيفت إلى هذه السلسلة ، هي مقتل مدام دي رشبريدجر .

فلم يكن أمامنا إذن إلا أن نلتمس نظرية معقولة تربط هذه الحوادث الثلاثة معاً ، وبعبارة ان الجرائم الثلاث معاً لم يرتكبها سوى شخص واحد ، لغرض خاص يضمره في نفسه ، ويعود عليه وحده بالفائدة .

إن المعضلة التي حيرتني هي حدوث مقتل برثلوميو بعد مقتل بانجتون ولو نظر الانسان الى الجرائم الثلاث دون التقيد بالزمان والمكان ، لرأى أن الدلائل تشير إلى أن مقتل مستر برثلوميو هو الجناية الرئيسية ، وان الجريمتين الاخريين متفرعتان عنها - اعني انهما وقعتا بسبب صلة هذين الشخصين بالمستر برثلوميو .

على انه لا يمكن ، كما قررت ذلك من قبل ، أن يجد المرء الجريمة مهيأة له على النحو الذى يشتهي . فقد قتل بانجتون اولاً ثم تلاه برثلوميو بعد فترة من الزمن .

واذن ، فقد تبدى من ذلك ، انه لا بد أن تكون الجريمة الثانية قد

تفرعت عن الأولى ، وانه يتعين علينا أن نحقق الجريمة الأولى حتى ندرك الغرض الرئيسي الذي يربطهما معا) .

والحق أنه خطر لي أن ثمة خطأ والتباسا في هذه الجريمة المتعددة الجوانب فذهبت أسائل نفسي : أيحتمل أن يكون مستر برثلوميو قد أريد به ان يكون الضحية الوحيدة ، وان مستر بانجتون قد دس له السم خطأ ؟

على اني مع ذلك لم البث ان نبذت هذا الرأي ، فإن من له أي اتصال وثيق بمستر برثلوميو يعرف بلا ريب انه لا يميل الى تناول (الكوكتيل) .

ثم خطر لي رأي آخر ..

هل يمكن أن يكون بانجتون قد سمم خطأ بدلا من أحد المدعوين ؟ ولما لم أجد دليلا يؤيد هذا الرأي ، الفيتني مسوقا الى ذلك الرأي القائل ان مقتل ستيفن بانجتون قد دبر عمداً ..

يجب في تحقيق القضايا ، أن يأخذ الباحث اولا بأبسط الاراء وأشدها وضوحا ، فإذا سلمنا جدلا بأن بانجتون قد شرب كأسا مسمومة من (الكوكتيل) ، فمن هو الذي أتيح له تسميم الشراب ؟

خطر لي لأول وهلة ان الشخصين الوحيدين اللذين يمكن أن يفعلا ذلك واللذين تداولا (الكوكتيل) هما مستر كارترايت نفسه والوصيفة تمبل .. على انه اذا صح نظريا ان أحدهما قد استطاع ان يدس السم في الكاس ، فإن الفرصة لم تتهيأ لهما كليهما لأن يضعا هذه الكاس المعينة في يد بانجتون .

نعم كانت الوصيفة تستطيع أن تفعل ذلك بجعل صفحة الكؤوس في وضع معين حين تقدم له أحد الكؤوس وكان في وسع كارترايت ان يقدم الكاس المسممة الى بانجتون .

ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، وكانت المصادفة ، والمصادفة وحدها ،

(١١) ساحر النساء

هي التي وضعت الكأس المذكورة في يد بابجتون ..

كان مستر كارترايت وتمبل هما اللذان تداولا (الكوكتيل) ، فهل كان أحدهم موجوداً في قصر (ميلفورت أبي) عند وقوع الجريمة الثانية ؟

الجواب : كلا ..

فمن ذا الذي أتيح له إذن أن يعبث بكأس النبيذ الذي تناوله مستر برثلوميو ؟ شخصان فقط ، هما رئيس الخدم : أرليس ، والوصيفة .

على أنه لم يكن ممكناً في هذه الحالة أن نتجاوز عن احتمال معين ، وهو أن أي واحد من المدعوين لدى المستر برثلوميو كان في استطاعته أن يتسلل إلى غرفة الطعام وأن يدس السم في كأس النبيذ .

ولما لحقت بكم في (عش الغراب) ألفيتكم قد أعددتم قائمة بأسماء الأشخاص الذين كانوا حاضرين في (عش الغراب) وفي قصر (ميلفورت أبي) .

ويجوز لي الآن أن أقرر إني قد استبعدت على الفور الأسماء الأربعة التي كانت على رأس هذه القائمة ، وهي أسماء الكابتن ديكرس وزوجته والانسة ستكليف ، والانسة ويلز .

فقد كان يستحيل على أي واحد من هؤلاء الأربعة أن يدري سلفاً أنه سوف يلتقي بالقس بابجتون في وليمة العشاء ، واستخدام النيكوتين في القتل يتطلب خطة مرسومة بإمعان لا خطة توضع عفو الساعة ووقت الحاجة .

وكان في القائمة ثلاثة أسماء أخرى هي أسماء الليدي ماري ليتون جور ، والانسة ليتون جور ، ومستر اوليفر ماندرز .

وكان من الجائز أن ينظر إلى أحد هؤلاء الثلاثة على أنه الفاعل ، فقد كانوا من أهل (لوموث) ، ومن الممكن أن تتوفر لهم دوافع خاصة تحملهم

على التخلص من بانجتون .

على أني من ناحية أخرى لم أستطع أن أهتدي إلى دليل مهما كان نوعه يثبت أن أحداً من هؤلاء الثلاثة قد أتى حقاً هذه الفعلة .

واحسب ان مستر سوتر قد سار في تدليله على نحو مـــا سرت ، وركز شكوكه حول أوليفر ماندرز .

وفي وسعي ان أقرر ان ماندرر كان في مقدمة المشتبه فيهم ، فقد بدت منه تصرفات تدل على ضيق الصدر في وليمـــة (عش الغراب) .

وهو شاب له نظرات في الحياة مصبوغة بالشذوذ بسبب متـــاعبه العائلية الخاصة ، كما وقعت بينه وبين بانجتون مشادة دلت على أنـه يكن له في صدره شيئاً من الضغينة والخصام ..

ثم تلا ذلك وصوله إلى قصر (ميلفورت أبي) في ظروف غريبة ، ثم كانت شهادة الانسة ويلز عن وجود قصاصة الجريدة التي تتضمن نبذة عن التسمم بالنيكوتين في حيازته .

كان ماندرز إذن جديراً بأن يوضع إسمه على رأس قـائمة السبعة المشتبه فيهم .

لكنني لم البث أن خامرني إحساس عجيب .

فقد رأيت إنه مما يتمشى مع المنطق والعقل ان يكون مرتكب الجريمتين شخصاً حضر كلتا المناسبتين ، وبعبارة أخرى من بين الأسمـاء السبعة المدونة في تلك القائمة .

على إني رأيت بعد ذلك إن هذا الاعتقاد قد اريد به ان يكون مناورة مقصودة للتضليل .

فإن المجرم الذكي يدرك ان وجود إسمه بين تلك الأسماء السبعـة يجعله عرضة للاشتباه فيه ، ولذلك لا بد ان يفكر في استبعاد إسمه

من تلك القائمة حتى يحول الأنظار عنه .

وبعبارة أخرى إن قاتل بانجتون ومستر برثلوميو كان موجوداً في كلتا المناسبتين ، لكنه لم يكن في الظاهر كذلك .

فمن هم الذين حضروا في المناسبة الأولى ولم يحضروا في الثانية ؟

هم مستر شارلس كارترايت ، ومستر سوتر ، ومس ميلراي ، ومدام بانجتون .

كان في مقدور احد هؤلاء الأربعة ان يحضر في الحادث الثاني خفية ، فأما مستر كارترايت ومستر سوتر فقد كانا في جنوبي فرنسا .

واما مس ميلراي فكانت في لندن .

واما مدام بانجتون فكانت في لوموث .

ومن هؤلاء الأربعة كانت مس ميلراي تستطيع ان تحضر إلى قصر (ميلفورت ابي) دون ان يعرفها احد من المجتمعين ؟

إن مس ميلراي ذات سحنة خاصة لا يمكن تبديلها او نسيانها . فمن المستحيل إذن ان تكون قد حضرت إلى القصر دون ان يعرفها احد ، ومثل هذا القول ينطبق على مدام بانجتون .

وبمناسبة الكلام في هذه الناحية ، هل كان في مقدور مستر شارلس او مستر سوتر أن يحضرا إلى قصر (ميلفورت ابي) دون ان يعرفها احد ؟

هذا غير محتمل فيما يتعلق بمستر سوتر ، على إننا إذا عرضنا إلى مستر شارلس ، فإنما نعرض إلى مسألة تختلف اختلافاً بيّناً .

فإن مستر شارلس ممثل قديم الف الأدوار ، ولكن ما هو الدور الذي يستطيع تمثيله ؟

وهنا رأيت ان استعرض دور ارليس رئيس الخدم .

ولا ريب ان ارليس هذا هو شخصية غامضة ، فهو شخص يظهر

فجأة على مسرح الحوادث قبل وقوع الجريمة باسبوعين ثم يختفي بنجاح تام على اثر وقوعها .

فما سر نجاح ارليس على هذا النحو ؟ السر هو انه شخصية لا وجود لها ، شخصية غير حقيقية .

لكن ايحتمل هذا ؟

كانت خادمات قصر (ميلفورث ابي) يعرفن مستر كارترايت ، وهو صديق حميم لسير برثلوميو . على ان موضوع الخادمات يمكن تذليله بسهولة ، لأنهن إن اكتشفن حقيقة آرليس فلن يكون في ذلك أدنى ضير ، ويمكن اعتبار الحادث ضرب من الدعابة والمزاح لا اقل ولا اكثر .

على انه من ناحية اخرى اذا مر اسبوعان دون ان يقوم ادنى شك في هذه الشخصية ، فقد اضحت المسألة هينة مأمونة العاقبة ، فلم البث ان تذكرت اقوال الخادمات عن رئيس الخدم . فقد قيل عنه انه كان يتصرف تصرف الرجل المهذب ، كما قررت الوصيفة (اليس) انه كان يؤدي عمله على نحو يغاير ما هو معروف ..

والحق اني ما كدت الم بمضمون القول الأخير ، حتى وجدت فيه تأييداً لنظريتي ، وهي ان مستر شارلس استطاع ان يتنكر وان يخلق شخصية جديدة هي شخصية رئيس الخدم .

ولكن ما يقال عن الخادمات لا يمكن أن يصح عند مستر برثلوميو ومن العسير ان نصدق انه يمكن ان تجوز عليه حيلة صديقه الحميم ، ولا بد إذن انه عرف بحقيقة هذه الشخصية المنتحلة .

فهل لدينا دليل ما على صحة هذا الاستنتاج ؟

هذا الدليل يبدو في ذلك التبسط الذي صدر من مستر برثلوميو نحو رئيس خدمه على نحو يغاير تماماً ما كان معهوداً فيه ، ومن العسير تعليل ذلك التبسط الا اذ كان رئيس الخدم هو مستر شارلس نفسه .

نعم . لا ريب ان مستر برثلوميو كان ينظر إلى الأمر بهذه العين ، وقد رأى أن قيام صديقه بدور أرليس هو دعابة ، وربما كان رهاناً لا يقصد منه غير التفكهة على حساب الضيوف .

ومن هنا نشأت تلك الملاحظة التي أبداها عن إعداده مفاجأة معينة ، وما بدا منه من المرح .

وكذلك يمكن القول بأنه لم يكن ثمة أدنى خطر من اكتشاف احد الضيوف لحقيقة شخصية السير شارلس ، فقد كان يمكن تعليلها بأنها لون من التفكهة والدعابة .

ولكن احداً لم يلتفت إلى رئيس الخدم ذي القامة اليسيرة الانحناء ، والشعر المرسل على عارضيه ، والشامة الموشومة فوق معصمه ، والحق أنه لم يلاحظ احد تلك الشامة غير الآنسة وبلز النافذة البصر ، وسنتحدث عنها بعد قليل !

ماذا حدث بعد ذلك ؟

توفي مستر برثلوميو ، فلم تنسب الوفاة هذه المرة إلى أسباب طبيعية وجاء رجال البوليس ، فاستجوبوا أرليس والاخرين ، ثم هرب ارليس في تلك الليلة عن طريق الممر السري ، واستعاد شخصيته وراح بعد يومين يتجول في حدائق مونت كارلو وهو على أتم استعداده لابداء ذهوله وارتياعه لنبأ وفاة صديقه .

وأرجو ألا يغرب عنكم إن هذا كله لم يكن غير نظرية اكتشفها .

ثم ما شأن تلك الرسالة المزعومة التي تلقاها اوليفر ماندرز ، فإنه لم يتوفر عندي الدليل المادي على صحتها ، ولكن كل شيء حدث بعد ذلك كان ينهض دليلاً ناطقاً بصحتها ..

ولعلكم تتساءلون عن رسائل التهديد التي وجدت في غرفة أرليس ؟

ولكن يجب أن تذكروا ان مستر كارترايت هو الذي طلب من مستر

برثلوميو يسأله أن يصطنع حادثة ؟ هل كان هناك ما هو أيسر من أن يتولى كارترايت نفسه تحرير الرسالة مذيلة باسم سير برثلوميو ؟

وإذا لم يكن ماندرز قد قام بتمزيق الرسالة ، فقد كان في مقدور ارليس أن يفعل هذا وهو ينظف ثياب الشاب .

وكان ميسوراً على هذا النحو كذلك ان يدس قصاصة الجريدة في حافظة اوراق اوليفر ماندرز .

نأتي الان إلى الضحية الثالثة .. مدام رشبريدجر .. متى سمعنا بهذا الاسم لأول مرة ؟

سمعنا به على أثر الدعابة التي تفوه بها مستر برثلوميو إلى ارليس . فلم يكن بد من أن يعمل السير شارلس ، مهما كلفه الأمر على تحويل الأنظار عن تبسط مستر برثلوميو مع رئيس خدمه ، ولذلك راح يسأل الخادمات حين ذهب مع سوتر إلى قصر (ميلفورت أبي) عن مضمون تلك الرسالة التي قام رئيس الخدم بتبليغها ..

ولما قيل له انها تتصل بتلك المريضة التي تعالج في مصحة الطبيب راح يركز كل جهده لتحويل الأنظار إلى تلك المرأة المجهولة ، وابعادها عن رئيس الخدم ، فيذهب إلى المصحة ويستجوب رئيسة الممرضات .

وهكذا استغل تلك المرأة المسكينة واقحمها في القضية ثم فتك بها اخيراً زيادة في التضليل التعقيد .

ويجدر بنا الان ان نستعرض الدور الذي قامت به الانسة ويلز في تلك المأساة ، إذا كانت الانسة ويلز قد حرمت نعمة الجمال ، فإنها لم تحرم قوة الملاحظة والذكاء ، ولا أعلم إذا كانت الانسة ويلز قد لاحظت على رئيس الخدم شيئاً غير عادي ، ولكنني اعتقد انها كانت المخلوقة الوحيدة التي اعارته قسطاً من ملاحظتها وهم جلوس حول المائدة ..

وقد بعثها فضولها وحبها للاستطلاع إلى الدخول في صباح اليوم التالي

لوقوع الجريمة إلى غرفة ديكرس ، والذهاب إلى جناح الخدم .

وكانت هي المخلوقة الوحيدة التي سببت لسير كارترايت بعض القلق ، وهذا هو السر في اهتمامه بجر قدميها وإثارة الغبار حولها ، وقد علم منها في تلك المقابلة التي تمت بينهما انها لاحظت وجود الشامة فوق معصمه اثناء طوافه بصحاف الطعام على المدعوين .

فلم يخطر للآنسة ويلز اول الأمر ان ارليس هو كارترايت . ولكن خطر لها فجأة حينما كان كارترايت يتحدث معها اثناء المقابلة التي تمت بينهما ان كارترايت هو ارليس ، ولذلك طلبت اليه ان يناولها الصحفة النحاسية .

فلم تكن تهتم بالوقوف على حقيقة الشامة ، وهل هي في اليد اليمنى او اليسرى ، وإنما ارادت ان تتطلع إلى حركات يديه وهو يقدم اليها الصحيفة ، وتقارن بينها وبين حركات يدي ارليس .

ومن هنا وضحت لها الحقيقة فجأة ، بيد انها امرأة غريبة الطباع ، فقد كانت تهتم بجمع المعلومات من اجل لذتها الخاصة .

وفوق ذلك فإنها لم تكن موقنة ان سير شارلس قد اغتال صديقه ، نعم ، إنه تنكر في زي رئيس الخدم ، لكن ليس معنى ذلك بالضرورة انه هو القاتل .

وإذن فقد احتفظت الآنسة ويلز بتلك المعلومات لنفسها .

لكن كارترايت كان يشعر بالقلق ، فلم يسترح الى نظرة الارتياح المشوبة بالخبث التي طالعها وجهها حينما غادر غرفتها ؟ فهي تعرف شيئاً بلا ريب ، ولكن ما هو ؟

لا بد ان يكون هذا الشيء متصلاً بآرليس ، اذن لا بد ان يقوم بعمل يحول الأنظار عنه .

واعتقد انه استيقظ مبكراً في صباح اليوم الذي دعوت فيه الى وليمة

الشمبانيا ، وذهب الى يوركشير ، متنكراً في زي رجل خشن المظهر ، وسلم اشارة برقية الى صبي صغير كي يتولى ارسالها ..

ثم رجع الى لندن لتمثيل الدور الذي قام به في المأساة الصغيرة التي رسمتها . على انه فعل شيئاً آخر ، فقد ارسل صندوقاً من الشوكولاتة إلى امرأة لم يشاهدها مرة واحدة في حياته ولا يعرف عنها شيئاً ..

وأنتم تعرفون ما حدث في تلك الليلة ..

فقد استنتجت من قلق مستر كارترايت ان الانسة ويلز أصبحت تخامرها شكوك معينة .

ولما قام كارترايت بتمثيل مشهد وفاته ، رحت أراقب وجه الآنسة ولز ، فشاهدت آيات الدهشة تبدو عليها .

ومن هنا أيقنت أن الانسة ولز كانت ترتاب بشكل قاطع في أن كارترايت هو الجاني ..

ولما خيل اليها أنه يموت مسموماً كصاحبيه السابقين وقع في ردعها أنها اخطأت في استنتاجاتها .

لكن إذا كانت الانسة ولز ترتاب حقاً في كارترايت ، فلا ريب انها باتت في خطر .. وإن الرجل الذي ارتكب جريمة القتل مرتين لا يتردد في أن يقتل مرة أخرى .

ولذلك حذرتكم في تلك الليلة ، ثم اتصلت بالانسة ولز تليفونياً ، فلم تلبث أن غادرت منزلها فجأة في اليوم التالي بايعاز مني ، ومنذ ذلك الوقت وهي تقيم هنا في هذا الفندق ..

ولكي أدلل على بعد نظري في شأن الانسة ولز اذكر لكم ان كارترايت ذهب إلى منزلها عقب عودته من (جيلنغ) ، بيد أن تأخر فوجد أن العصفور قد طار من القفص .

وفي هذه الأثناء ، كان كارترايت يعتقد ان خطته قد نجحت فيما

يتصل بمدام رشبريدجر .

لكنني لم اخدع بهذه المناورة ، فقد ذكر لي مستر سوتر انها قتلت حتى لا تدلي بما لديها من المعلومات ، فقلت له أنها قد تكون قتلت لأنها لا تعرف شيئاً ، ولذلك دهش من هذا القول ، ولكن كان يجب عليه إذ ذاك أن يدرك الحقيقة ..

فقد قتلت مدام رشبريدجر لأنه لم يكن لديها في الواقع ما تفضي به ، ولأنه لم يكن لها أدنى اتصال بالجريمة ، فقط اراد القاتل زيادة تعقيد القضية ، وصرف الأنظار عنه .

على ان كارترايت قد ارتكب غلطة صبيانية جسيمة في تلك الليلة التي أصاب فيها النصر بالقضاء على تلك المرأة البريئه ، فقد أرسل البرقية بعنواني في فندق ريتز ..

لكن مدام رشبريدجر لم تسمع باسمي مقترناً بهذه القضية ، وايضاً لم يعلم به أحد في المنطقة التي توجد بها المصحة ، وهكذا ترون أنها غلطة تورط فيها كارترايت تورطاً خطراً .

توصلت إلى شخصية القاتل حتى هذه المرحلة ، بيد اني لم اعرف الدافع إلى الجريمة الأصلية ..

ولذا جعلت أفكر .. وأيقنت مرة أخرى ان وفاة سير برثلوميو ستريدج هي الجريمة الرئيسية ، فما هو الدافع الذي يحمله على القضاء صديقه ؟

هل أستطيع ان أعرف هذا الدافع ؟ رأيت هذا ممكناً

وهنا ساد صمت عميق !

ونهض سير كارترايت إلى ناحية الموقد ، ووقف واضعاً يديه في جيوبه ، وجعل يتطلع إلى بوارو في ترفع وازدراء ، وقال :

- انت خصب الخيال يا مسيو بوارو . لست في حاجة إلى القول

بـأن هذا الكلام كله لغو وسخف .. ولكن استمر في حديثك .. فإنه يهمني ان أعرف الدافع الذي تزعم أنه حملني على اغتيال أحب أصدقائي الي".

فنظر بوارو إلى وجه سير كارترايت ..
ثم أردف :

– هناك مثل مأثور يقول (فتش عن المرأة) . والدافع إلى الجريمة ينحصر في هيامك بالانسة ليتون جور هياماً قوياً ، ومع انك ادركت ان الفتاة تحبك وتمجد شخصك ، فإنك لم تقدم على الزواج بهـا ، فما السبب ؟

إذن لا بد أن ثمة عقبة تحول دون هذا الزواج .. فمـا هي هذه العقبة ؟ العقبة هي وجود زوجة لك ، ولما كان الناس لا يعرفون عن زواجك شيئاً ، فلا بد إنك كنت متزوجاً في شبابك ، قبل أن تشتهر كممثل مجيد .

ولكن ما قصة هذه الزوجة ؟ إذا كانت على قيد الحياة فلماذا لم يسمع بها أحد ؟ وإذا كانت تعيش منفصلة عنك ، فقد كان يمكنك فصم العلاقة بالطلاق !.

على أن ثمة حالتين لا يباح فيهما الطلاق ، وهما سجن الزوجة ، أو وجودها في أحد مستشفيات الأمراض العقلية !

فـإذا كانت زوجتك قد سجنت أو أرسلت إلى أحد مستشفيات الأمراض العقلية منذ سنوات ، فقد لا يوجد من يعلم بهذه الحقيقة .

وإذا لم يوجد من يعلم بذلك ، فقد يتاح لك أن تتزوج الانسة ليتون جور دون أن تطلعها على الحقيقة

لكن إذا فرض أن صديقاً قديماً يعرف ماضي حياتك فماذا يكون الشأن ، ان سير برثلوميو رجل شريف ، وهو لا يستحل لنفسه أن يسكت

على خداعك فتاة بريئة وتغريرك بها .

إذن فلا بد من القضاء على برثلوميو قبل ان يتاح لك الاقتران بالانسة ليتون جور .

فضحك كارترايت وقال :

– وهل كان بانجتون يعرف ذلك السر القديم أيضاً ؟

– خيّل اليّ ذلك اول الأمر ، ولكني لم البث ان رأيت انه لا يوجد ما يؤيد هذا الرأي . وفوق ذلك فقد بقيت أمامي تلك العقبة التي واجهتني وهي : إذا فرض انك قد دسست السم في كأس (الكوكتيل) ، فإنه لم يكن بوسعك أن تستوثق من وصولها إلى الشخص المعين الذي تريد قتله .

على ان كلمة عرضية من الانسة ليتون جور بددت ذلك الظلام الذي كان يحوطني ، فإن ستيفن بانجتون لم يكن مقصوداً بهذه الكأس المسمومة وإنما قصد بها أي شخص من الموجودين إذ ذاك ، ما عدا ثلاثة منهم : هم الانسة ليتون جور التي حرصت على أن تناولها الكأس بيدك ، ثم أنت ، وسير برثلوميو ستربنج لما تعرف من نفوره من الكوكتيل ..

فصاح سوتر :

– هذا غير معقول .

فنظر اليه بوارو نظرة الظافر وقال :

– بل هو صحيح وهو أعجب دافع سمعت به في حياتي ، فإن ستيفن بانجتون لم يقتل إلا على سبيل التجربة .

لقد كان شارلس ممثلاً ، وكما يقوم الممثل بتجربة تمثيل المسرحية قبل عرضها على جمهور النظارة ، فقد قتل بانجتون قبل ان ينفذ غرضه في مستر برثلوميو ، والحق أنه ان تحوم حوله أدنى شبهة ، فهو لا ينتفع بموت أحد الموجودين وقد نجحت التجربة ، وتوفي بانجتون دون ان تثير وفاته أدنى شبهة

وقد حاول أن يثير شبهتنا ، وكان في ذلك جريئاً إلى أبعد حدود الجرأة ، فتكلم عن احتمال وفاة بانجتون قتلاً ، بيد اننا رفضنا أن نصدقه ، كما ان احداً منا لم يفطن إلى انه استبدل الكأس المسمومة بأخرى .

على ان الأمور تغيرت في الجريمة الثانية ، فقد استدعي أحد الأطباء فاشتبه في حدوث الوفاة بالسم

وكان من مصلحته إزاء ذلك ان يضرب على النغمة القائلة بأن بانجتون قد مات مسموماً كذلك ، إذ لا بد ان يظن الناس ان مقتل السير برثلوميو متفرع عن الجريمة الأولى .

وهكذا تتحول الأنظار إلى التماس سبب لاغتيال القس ، لا إلى السبب في القضاء على مستر برثلوميو .

على أن ثمة مسألة واحدة لم يوفق كارترايت إلى التحوط لها !.

فقد كانت مس ميلراي المقتدرة تعلم ان كارترايت يقوم بتجارب كيميائية في الكوخ الخشبي الكائن في الحديقة ، وكانت بعض الزهور تختفي دون سبب مفهوم .

فلما قرأت في الصحف ان بانجتون مات مسموماً بالنيكوتين ، أدركت بفطنتها ان سير كارترايت كان يستخرج مادة النيكوتين النقية من محلول الزهور !.

وكانت مس ميلراي إذ ذاك بين عاملين . عامل الحزن على ما أصاب بانجتون الذي كانت تعرفه منذ طفولتها ، وعامل الوفاء لسيدها .

فلم تلبث أن قررت آخر الأمر ان تتلف الأجهزة الكيميائية وهو ما لم يفكر فيه كارترايت لفرط اعتداده بنفسه ، فلما ذهبت مس ميلراي إلى كورنوول ، تبعتها وحلت دون غرضها .

وهنا ضحك مستر كارترايت مرة أخرى وقال في ازدراء :

- هل تحصر دليل اتهامك في جهاز كيميائي قديم ؟

فأجاب بوارو :

ـ كلا . هناك جواز سفرك ، فهو يبين تاريخ عودتك إلى انجلترا لقتل صديقك ثم مغادرتك إياها إلى فرنسا ، ثم هناك في مستشفى الأمراض العقلية بمقاطعة هارفرتون سيدة تدعى جلاديس ماري ماج ، وهذه السيدة هي زوجتك الأولى

* * *

كانت ايخ أثناء ذلك صامتة كتمثال ، وما لبثت أن أرسلت أنينا عميقا ، فتحول اليها كارترايت وقال :

ـ أتصدقين حرفا من هذه القصة الخرافية يا إيخ ؟

فنهضت الفتاة وسارت الى بوارو فركعت أمامه وابتهلت اليه قائلة :

ـ أهذا صحيح ؟ أهذا صحيح ؟

فقال بوارو وهو يضع يديه على كتفيها برفق :

ـ نعم ، كل هذا صحيح يا آنسة .

فساد الصمت ، فلم يعكره غير تنهدات ايخ وهي تبكي وظهرت على وجه كارترايت علامات الشيخوخة فجأة ، وما لبث ان تحول الى بوارو وقال في نبرات تقطر حقداً :

ـ عليك اللعنة .

وغادر الغرفة !

فوثب سوثر واقفا وقال :

ـ إنه سيحاول الفرار !

فهز بوارو رأسه وقال :

ـ كلا .. انه سيختار الطريق الذي يسلكه ، سيوازن بين العقاب

والانتصار :

وفتح الباب في هذه اللحظة وبدا منه اوليفر ماندرز .

فقال برادو :

– انظري يا آنسة ، هو ذا صديق جاء ليراك .

فانهضت الفتاة وهي تترنح .. وهتفت بالشاب :

– أوليفر . اذهب بي الى أمي ، اذهب بي الى امي

فبسط ذراعه حول خصرها وهو يقول :

– نعم يا عزيزتي ، سأذهب بك ، تعالي ..

وفي هذه اللحظة ، سمع القوم صوت طلق ناري خارج الغرفة ، فأطرقوا برءوسهم !.

– تمت –